

قراءات
في التاريخ والفكر والثقافة

قراءات

في التاريخ والفكر والثقافة

حمادة جمال ناجي

عضو بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة حلوان

قراءات في التاريخ والفكر والثقافة

اسم الكاتب: حمادة جمال ناجي

تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية

تصميم الغلاف: فارس حسن

الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولى

رقم الإيداع: 23221 / 2018

الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6610 – 44 – 6



Arabiclibrary2017@gmail.com

[Facebook.com/arabiclibrary2017](https://www.facebook.com/arabiclibrary2017)

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى كل من شُغف بحب المعرفة
إلى كل مثقف وطالب علم
إلى شعب مصر.. صاحب الحضارة والتاريخ

مقدمة

المعرفة بحرٌ لا نهاية له، فهي سر التطور في الحياة، وهي أساس تقدم المجتمعات والأمم، والمقياس الذي يقاس به تطور الشعوب، وكما قيل في فضل العلم والمعرفة "إذا ما أقام العلم راية أمةٍ، فليس لها حتي القيامة ناكسٌ"، فالعلم بعيد المرام، لا يدرك بالسهم، إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تغرس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس، ولا يحصل إلا لمن أنفق العينين. وجثى على الركبتين، ولا يحصل إلا بقلة النوم، وصلة الليل باليوم.

وهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ عبارة عن مجموعة من المعارف، كنت قد ألفتها وعرضتها في أوقات وأماكن متفرقة، سواء داخل مصر أو خارجها، وهي من ثمَّ "مقالات" وليست بحوثاً، متفاوتة في الحجم، جاء بعضها في بضع صفحات، وبعضها الآخر أضعاف حجم بعضها الأول، وإذا كانت هذه المقالات قد أدت بعض واجبها حين نشرت كل منها منفردة، فربما يؤدي نشرها في كتاب واحد واجباً مهماً آخر، لا سيما إذا قدمت معرفة جديدة للقارئ، ومعلومات لم يقف عليها من قبل.

وقد اعتمدت علي الإيجاز وتوخيت سهولة العبارة ووضوح الأسلوب في العرض، بالإضافة إلي إجراء بعض التعديلات والإضافات، مع توثيق كل معلومة بذكر مصدرها، وقمت بتقسيم الكتاب إلي قسمين رئيسيين، علي حسب اتجاهات الموضوعات، وذلك لسهولة التصفح والانتقال لخدمة القارئ العزيز، حيث ضم القسم الأول مجموعة من القراءات في الفكر والثقافة العامة كالتعريف بطبقة الإنتلجنسيا المثقفة، وبداية نشأة هذه الطبقة، ودورها المؤثر في المجتمعات المستنيرة، وموقف الثقافة العربية منها، وكذلك الفكر السان سيموني الذي نشأ علي يد المفكر الفرنسي سان سيمون، وتطوره

علي يد أتباعه في مصروففرنسا، وكذلك مفهوم رؤية الآخر في العلوم الإنسانية الحديثة، مثل بعض النظريات السوسيولوجية والسيكولوجية والفلسفية التي اهتمت بتحليل هذا المفهوم، وأبعاده المعرفية، ومدي تأثيره علي الجانب المجتمعي، وغيرها من القراءات الفكرية والثقافية التي تناولت بعض القضايا المهمة.

أما القسم الثاني، فضم بعض القراءات في التاريخ العام، والتي ستفيد- بلا شك- القارئ بمعلومات وفيرة حول الموضوعات المطروحة، مثل دور الوعي الاجتماعي في التاريخ المصري الحديث، والتعريف بالثورة الروسية وبداية اشتغالها، وظروف نشأة الصحافة المصرية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، بالإضافة إلي بعض العلاقات المصرية بأوروبا، والتعريف بأول وزير دفاع في التاريخ المصري الحديث، ودور الحكومة المصرية في دعم القضية الفلسطينية قبل إعلان قيام دولة إسرائيل، وغيرها من الموضوعات التاريخية المهمة.

وفي النهاية أريد أن أقول إن هذه الكتابات خلاصة مجهود بذلته بحثاً عن المعرفة التي اسعي نحوها دائماً، وأدعو الله تعالى أن يكون هذا العمل ذا فائدة، خالصاً لوجهه الكريم، والله الموفق الهادي إلي سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

حمادة جمال ناجي

منيل الروضة - القاهرة ٢٠١٨م

drhamadahistory@gmail.com

القسم الأول

قراءات في الفكر والثقافة

الإنتلجنسيا "الصفوة المثقفة"

قد يكون هناك تساؤلات عديدة حول مصطلحات ومفاهيم بعض الكلمات الفكرية والثقافية التي تم تداولها علي مر العصور. فمنها ما عُرف أصلها وبداية استخدامها، ومنها ما هو تحت عدسة البحث حتي وقتنا هذا، والمصطلح الذي سنلقي عليه الضوء في هذا الموضوع يُعد من أهم المصطلحات التي استخدمها المثقفون علي مدي فترات زمنية طويلة، وهو مصطلح (الإنتلجنسيا) تلك الكلمة التي أقرنها البعض بكلمة (النخبة)، والبعض أشار إلي مقصودها بكلمة (الصفوة)، والبعض عرفها بـ (الطليعة المثقفة)، وهي في الأصل مشتقة من كلمة يونانية. كل هذه المحاولات تقودنا إلي بعض الأسئلة المهمة التي يسعى هذا الموضوع لتقديم إجابات لها، ومنها: ما هي الإنتلجنسيا؟، وفي أي فترة ظهرت؟، وما هو موقف الثقافة العربية منها؟.

المعنى والمفهوم

حظي تعريف مصطلح الإنتلجنسيا باهتمام كبير في الدراسات الثقافية الحديثة، حيث أوضحت هذه الدراسات أن المفهوم يشير إلي أولئك الذين ترتبط مهنتهم بالعمل العقلي والثقافي، وهذا يعني أن المصطلح مرتبط بالصفوة الذين يقودون الجنس البشري إلي التطور في جميع العمليات الهادفة لبناء المجتمعات. فطبقة الإنتلجنسيا تتكون من الفئة القادرة المؤهلة لصياغة أيديولوجيا متكاملة للتطور مستندة في ذلك إلي التقاليد المحلية داخل المجتمع، والإنتلجنسيا بالمعني الحرفي مأخوذة عن كلمة يونانية تُعبر عن الطبقة الاجتماعية التنويرية اللامعة داخل المجتمع، والتي تهتمك بالعمل الفكري الدؤوب بهدف نشر الثقافة والمعرفة بين أبناء الكيان الاجتماعي^(١).

ومن أهم السمات التي تميز طبقة الإنتلجنسيا داخل المجتمع الواحد هي أن أعضائها تنحصر حياتهم بين معياري التحصيل العلمي والعمل الذهني^(٢)، وهذا الأمر يجعلنا نتساءل عن ماهية التخصصات التي يشارك بها أعضاء هذه الطبقة في المجتمع. فهل كل مهنة أو تخصص منغلِق علي نفسه داخل هذه الطبقة؟ أم أن كل المهن والتخصصات في اتحاد وكيان واحد؟.

الإجابة ستكون بترجيح السؤال الثاني علي الأول. وذلك لأن طبقة الإنتلجنسيا جماعة وطنية تتفق علي مبدأ ديمقراطي واحد، ويجمعهم شعور قومي يسعي لخدمة المجتمع بدون مقابل. فعلي الرغم من أن أعضائها من الفنانين والمفكرين والمعلمين والنقاد والروائيين والمثقفين التنويريين أصحاب الاتجاهات المختلفة، إلا أنهم يعملون بعقل واحد ويرتبطون بحلقات وصل خاصة داخل النظام الاجتماعي^(٣).

النشأة والتطور

يعود أول ظهور لطبقة الإنتلجنسيا إلي العصر الذهبي لبلاد اليونان، حيث كانت هذه الطبقة وراء اختراع الكثير من العلوم العقلية مثل المبادئ الفلسفية الأولى وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً، وكذلك المنطق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة، وغيرها من العلوم المعرفية التي قادت بلاد اليونان إلي الصدارة في ذلك الوقت. فإلي هذه الطبقة تنسب عبقرية وعظمة الفكر والعلوم الفلسفية الإغريقية في ظل الإمبراطورية الأثينية طوال العصر الهلنستي الذي استمر حوالي ٢٠٠ سنة في بلاد اليونان، وحوالي ٣٠٠ سنة في الشرق الأوسط، وفي العهد الروماني مارست الإنتلجنسيا نشاطها الثقافي والفكري في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية، حيث نضجت في المفكرين والفلاسفة والتنويريين الذين أخذوا علي عاتقهم تأسيس مدارس الفلسفة في

روما على غرار ما عرفتة أثينا، ومع ظهور المسيحية أنجبت الإنتلجنسيا آباء الكنيسة الشرقية، وكذلك كل الرهبان ورجال الدين أصحاب الآراء الفكرية المختلفة^(٤).

ومع مرور الوقت انتشرت الإنتلجنسيا في كل أرجاء العالم، وخاصة مع عصر "النهضة الأوروبية" التي طورت وغيرت كل ما هو قديم^(٥)، ولكن مع الوضع في الاعتبار أن تأثيرها اختلف "كطبقة اجتماعية" بين دولة وأخرى، وتوقف ذلك علي حسب العدالة الاجتماعية التي يُطبقها المجتمع المنتشرة فيه، وهذا ما أكده معجم أكسفورد لعلم الاجتماع عندما تعرض لتحليل هذه الطبقة، وأنشطتها الاجتماعية^(٦).

ويأتي السؤال: هل لعبت الإنتلجنسيا دور القيادة في أي مجتمع أثرت فيه، حتي ولو بشكل محدود؟. الإجابة علي هذا السؤال ستكون علي لسان الفيلسوف والمفكر الألماني "هيجل" الذي وصف هذه الشريحة بأنها كيان من الوطنيين المتعلمين والمحترفين احتراماً عالياً، لذا ليس من الصعب أن يصبح أعضائها قادة روحيين لأي أمة، وخاصة إذا كانت هذه الأمة تقع تحت سيطرة قوة أجنبية سلطوية^(٧)، وهذا ما تشابه بشكل كبير مع شريحة الرومانتيكيين البولنديين الذين تولوا مهمة الدفاع عن وطنهم ضد السيادة الروسية، وخاصة بعد تقسيمه عقب تسوية فيينا (١٨١٤-١٨١٥ م) علي الدول الأوروبية العظمي، ووقوع النصيب الأكبر منها تحت سيطرة الإمبراطورية الروسية، حيث تولت الإنتلجنسيا البولندية مهمة قيادة المجتمع للحصول علي الحرية، بل إن من الممكن القول أن هذه الطبقة هي التي قادت الانتفاضات البولندية في الأعوام ١٨٣٠ م و١٨٤٨ م و١٨٦٣ م، حتي أن بعض أعضائها أصبحوا أعضاءاً بمجلس الدوما الروسي وطالبوا بالحكم الذاتي لبولندا عقب الثورة الروسية الصغرى عام ١٩٠٥ م^(٨).

ومن بولندا رسمت الإنتلجنسيا طريقاً لها في روسيا نفسها، وخاصة بعد اضمحلال الحكم القيصري بها، وباتت روسيا علي حافة الثورة للقضاء علي هذا الحكم البائد، حيث أطلق المثقفون الروس هذا المصطلح علي أنفسهم قبل الثورة البلشفية الكبرى ١٩١٧م، وذلك ليميزوا عن عامة الجماهير، ونجحت هذه الطبقة في صياغة مبادئ جديدة للمجتمع الروسي قاداته في النهاية إلي نجاح ثورته^(٩).

وطوال القرن العشرين قادت الإنتلجنسيا الكثير من المجتمعات في العالم أجمع نحو الرقي والازدهار، وعلي الرغم من أنها لم تُعرف باسمها الحرفي في بعض الدول، إلا أن روحها سكنت المثقفين والتنويريين والمفكرين الذين سعوا نحو تطوير مجتمعاتهم بشكل عام، حتي ولو اقتصر دورها علي صياغة فكرة واحدة تهدف لارتقاء الكيان الاجتماعي^(١٠).

الإنتلجنسيا والثقافة العربية

ربما ما ينقصنا هو التوقف، ولو للحظات، عند هذا المحور المهم من الموضوع المطروح، وذلك للوقوف علي مردود الثقافة العربية من "الإنتلجنسيا"، وهل أن هذا المصطلح تم استعماله في ثقافتنا؟ أم أن هذه الفئة الاجتماعية تم التعارف عليها في الواقع الموضوعي العربي فقط؟.

ليس هناك شك في أن الثقافة العربية عرفت "الإنتلجنسيا" في كيان صفوة العلماء والمفكرين والأدباء العرب الذين أخذوا علي عاتقهم مهمة الارتقاء بواقعهم الاجتماعي الذي عاشوا فيه علي مر العصور، ولكن من المؤكد أن الثقافة العربية لم تستخدم مصطلح "الإنتلجنسيا" بمعناه اللغوي المعروف، فلم يُطلق هذا المصطلح علي أي فئة اجتماعية مستنيرة حتي وقتنا الحالي، أو

حتى استخدمته أي جماعة عربية لتمييز نفسها عن باقي أفراد المجتمع، مثلما حدث مع الإنتلجنسيا الروسية علي سبيل المثال. وهنا يأتي السؤال: كيف يمكننا أن نُجزم بفرضية وجود الإنتلجنسيا في موضوعية وروح الثقافة العربية؟. الإجابة علي هذا السؤال ستكون في تتبع البدايات الأولى التي احتكت من خلالها الإنتلجنسيا بالثقافة العربية، حتي ولو كان ذلك عن طريق بعض الأشخاص الذي نقلوا مضمون فلسفتها إلي الشرق العربي.

فهذه البدايات كانت مع نهاية عهد الازدهار اليوناني، صاحب الفكرة الأولى لهذا المصطلح، حيث انتقلت الإنتلجنسيا إلي المشرق العربي في أديرة السريان اليعاقبة والنساطرة في سوريا والعراق، وكذلك مع كل الفلاسفة الذين نقلوا عن التراث اليوناني المكتوب. ومع العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية تبلورت الإنتلجنسيا في مختلف العلوم العقلية والعقلية العربية، وخاصة مع ظهور علوم اللغة والطبيعيات والحساب والفلك وعلم النبات والحيوان والطب وعلم الكلام والمنطق وتفسير النظريات الفلسفية اليونانية القديمة وتطويرها، مثل التفسيرات والإضافات الغير مسبوقة لابن رشد، وغيره من المفكرين، لآثار أرسطو وأفلاطون^(١١).

ومما سلفَ، يمكن القول إنّ الإنتلجنسيا "مصطلح" يُطلق علي صفوة المثقفين التنويريين الذين يحددون معالم الطريق في أية دولة، ويتميزون بقوتهم السياسية والأيدولوجية في مجتمعاتهم، وكان لهذه الطبقة تأثيراً كبيراً علي الكثير من المجتمعات الناهضة علي مر العصور التاريخية حتى وقتنا هذا، وعلي الرغم من أن هذه الكلمة لم تُستخدم في عصرنا الحديث إلا في دول

معينة، إلا أن مضمونها ينطبق علي جميع المثقفين والمفكرين الذين يسعون
نحو التقدم الدائم لأوطانهم.

الهوامش:

- (١) سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦م، ص ٣٩، ٤٠.
- (٢) المرجع نفسه، ص ٤٠.
- (٣) إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: مصطلحات عصر العولمة، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٣٠.
- (٤) جورج طرابيشي: من النهضة إلى الردة "تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة"، دار الساقى، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٨٦.
- (٥) حنا عبود: المستقبل والإنترنت، مجلة المعرفة السورية، العدد (٤٨٨)، مايو ٢٠٠٤م، ص ١٠٢.
- (٦) سمير الخليل: المرجع السابق، ص ٤١.
- (٧) ميخائيل جورباتشوف: روسيا الجديدة، ترجمة: فايز الصياغ، العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ٢٠١٧م، ص ١١. سمير الخليل: المرجع السابق، ص ٤٠.
- (٨) إبراهيم سعيد البيضاني: ثورة بولندا عام ١٨٦٣م والموقف الأوروبي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (٦٩-٧٠)، ٢٠٠٥م، ص ١٤٢-١٤٩. فراس البيطار: الموسوعة السياسية والعسكرية، الجزء الأول، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣م، ص ٣٩٨. عزيزة فوال بابتي: موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين. الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٣٤٦.
- (٩) سمير الخليل: المرجع السابق، ص ٤١، ٤٢.
- (١٠) ف. مكسيمينكو: نشأة الإنتلجنسيا الافرو آسيوية وتطورها الاجتماعي، ترجمة: شوكت يوسف، مجلة المعرفة السورية، العدد (٢٦٢)، ديسمبر ١٩٨٣م، ص ٥٨-٦٥.
- (١١) نوال حسن البحطي: العلوم عند العرب والمسلمين، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦م، ص ٥٢. جورج طرابيشي: المرجع السابق، ص ٨٦-٩٠.

الفكر السان سيموني بين مصر وفرنسا(*)

ظهر المشروع السان سيموني في فرنسا علي يد المفكر الاشتراكي الفرنسي (كلود هنري دي روفروا) كونت سان سيمون، والذي كان من النبلاء الأثرياء في فرنسا وتنسب إلي عائلته مقاطعة سان سيمون الشهيرة في ذلك الوقت، ومع قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م تنازل سان سيمون عن لقب النبالة نهائياً متأثراً بمولد المجتمع الجديد الذي تغيرت فيه كل الأوضاع السياسية والاجتماعية واختفت منه كل المعتقدات القديمة، وبدأ كتاباته بالدراسات الفلسفية والأخلاقية ووضع مؤلفاً في هذا المجال بعنوان "دروس في الفلسفة الواقعية"، ثم سرعان ما ترك هذا المجال واتجه إلي شرح آرائه ومبادئه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن أهمها آرائه حول الصناعة باعتبارها أساس المجتمع، حيث نظر إلي الصناعة والتصنيع باعتبارهما أهم ما يدعم أفكاره الاشتراكية الجديدة^(١).

تبلور الفكر السان سيموني مع أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وخاصة بعد انضمام أصحاب المدرسة الاشتراكية الخيالية للأفكار السان سيمونية، وأصبحت طبقة الصناعيين هي الطبقة الأولى التي تشمل جميع المنتجين، سواء من المزارعين أو ملاك الأراضي أو أصحاب المصارف، وبدأ سان سيمون في نشر المقالات التي تدعم فكرته حول دور الصناعة في تحقيق الرقي بالمجتمع^(٢)، كما أنه دعا إلي قيام حزب يعتمد علي المنتجين لمواجهة

(*) نشر هذا الموضوع بمجلة فكر الثقافة، العدد (٢٠)، مركز العبيكان للأبحاث والنشر، السعودية، أكتوبر ٢٠١٧م. ونشر أيضاً بعض أجزاء منه بمجلة المجلة، العدد (٤٣)، الإصدار الثاني، السنة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ديسمبر ٢٠١٥م.

أرستقراطية النبلاء، وهو ما شرحه بالتفصيل في كتابه الذي نشر عام ١٨١٩ م تحت عنوان "الحكمة"، أو في كتابه الذي ألفه بمشاركة سكرتيره وتلميذه النجيب أوجست كونت A. comte تحت عنوان "شريعة الصناعيين"^(٣).

توفي سان سيمون عام ١٨٢٥ م^(٤)، وتولي أتباعه زعامة الحزب الاشتراكي في فرنسا، ولكنهم اختلفوا كثيراً حول تفسير أفكاره، حيث دعا أرمان بازار (A. Bazard) إلى الثورة وإلغاء الملكية الخاصة، وصاغ أوجست كونت (A. comte) فلسفة وضعية محافظة؛ لأنه كان يفضل الملكية الخاصة، وأصبح بعضهم من كبار الرأسماليين وأرباب الصناعة أمثال بريير (periere)، وشيفالييه (M. Chevalier)، وبير ليرو (P. leroux) الذي طور المضمون الاجتماعي لفكر سان سيمون، وأشار إلى دور المجتمع في ضبط الملكية الخاصة وتنظيم الصناعة لتلبي احتياجات السكان ونشر ذلك في صحيفتهم (العالم)، ولكن علي الرغم من كل هذه الاختلافات إلا أن الأفكار السان سيمونية في فرنسا وجدت تأييداً كبيراً من جانب أشخاص كثيرة وزاد عدد أنصارها، وانضم إليهم كبار رجال الأعمال في فرنسا، والكثير من خريجي المدارس وخاصة مدرسة الهندسة العسكرية التي انضم منها بارتلمي بروسبير إنفانتان (Barthélemy Prosper Enfantin) الذي انتخب مرشداً لجماعة السان سيمونيين بعد مدة قليلة من انضمامه لهم^(٥).

تعرض السان سيمونيون في عهد إنفانتان إلى اضطهاد شديد من جانب الحكومة الفرنسية، وخصوصاً بعد مطالبتهم بتخلي الملك عن العرش، مما أدى إلى اعتقال إنفانتان وأربعة من أتباعه بتهمة تهيج الرأي العام، وصدر الحكم عليهم بالسجن لمدة عام، مع حل الجماعة ومصادرة كل أملاكها، ونتيجة لذلك ظهرت الدعوة بين السان سيمونيين للهجرة من فرنسا إلى أي بلد أجنبي تبني كل أفكارهم الاقتصادية، فاستقروا على الرحيل إلى الشرق،

وخاصة مصر التي ستتيح لهم تنفيذ الكثير من المشروعات، وعلي رأسها مشروع حفر قناة تصل البحرين المتوسط بالأحمر^(٦).



أوجست كونت (١٧٩٨ : ١٨٥٧ م)



سان سيمون (١٧٦٠ : ١٨٢٥ م)

وبالفعل هاجر السان سيمونيون إلي مصر في ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي، وتجمعوا حول اسم سان سيمون وأفكاره وترأسهم بروسبير إنفانتان الذي لعب دوراً بارزاً في تشجيع مجموعة من شباب الفكر السان سيموني للهجرة خارج فرنسا، وبالفعل هاجر نحو ٨٠ شخصاً من شباب المهندسين والأطباء الفرنسيين إلي مصر، وفي مخططهم الكثير من المشروعات السان سيمونية التي تهدف إلي تكوين جيش صناعي منظم علي درجة كبيرة من الوعي بالأنظمة الاقتصادية الشرقية المستخدمة آنذاك^(٧).

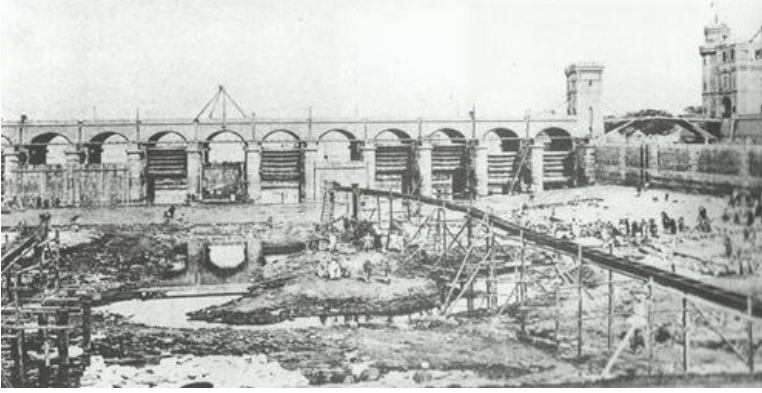


الزعيم السان سيموني بارتلمي بروسبير أنفانتان (١٧٩٦: ١٨٦٤م)

بدأت الهجرات السان سيمونية إلى مصر في ٢٢ مارس عام ١٨٣٣م، وسرعان ما نجحت الجماعة السان سيمونية في كسب ثقة الوالي محمد علي باشا (١٧٦٩-١٨٤٩م)؛ عن طريق إقناعه ببعض المشروعات الصناعية، وعلي رأسها إقامة سد علي النيل في مدخل الدلتا (القناطر الخيرية)؛ لتحسين الري والملاحة ولزراعة أكبر مساحة من الأرض في هذه المنطقة، وبالفعل وافق محمد علي باشا علي المشروع ولكنه رفض تعيينهم كموظفين في الإدارة المصرية بصورة دائمة، بل وافق علي تعيينهم كمندوبين أو متطوعين فقط يحصلون علي المال نظير عملهم^(٨).

وافق الزعيم السان سيموني بروسبير أنفانتان علي شرط محمد علي، واكتفي بالعمل في المشروع فقط باعتباره فاتحة الكتاب للسان سيمونيين، وبداية لحلمهم الذي يهدف إلي إقامة مدينة سان سيمونية في الأراضي المصرية، وبالفعل كلف محمد علي مهندساً فرنسياً يدعي لبنان دي بلفون لإدارة مشروع

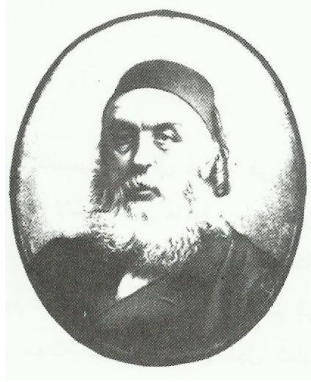
القناطر الخيرية وساعده في ذلك بعض المهندسين السان سيمونيين أمثال: إنفانتان، وشارل لامبير، وبير دنيس، وميشيل برونو، وغيرهم، ولكن حال مرض الطاعون بين السان سيمونيين وفرصة تنفيذ المشروع؛ حيث مات بسبب هذا المرض الكثير من العمال، وأدت قلة الإمدادات في النهاية إلى إهمال المشروع لعدة سنوات لاحقة^(٩).



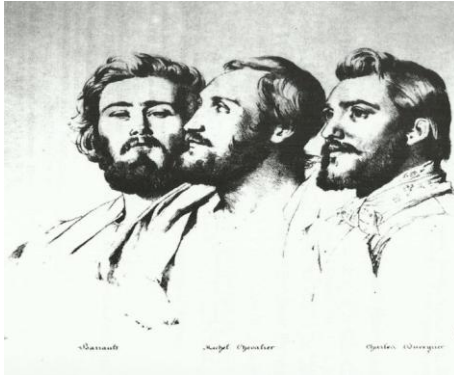
مشروع القناطر الخيرية

لم ييأس المخطط السان سيموني من كل العقبات التي حالت بينه وبين حلم تنفيذ مشروعاته، حيث ساهم السان سيمونيون بشكل كبير في العديد من المجالات المختلفة مثل تقديم محاضرات في الفن والأدب، والتدريس في مدارس الطب والهندسة والألسن، وتأسيس مدرسة للزراعة، والتفتيش عن المعادن في الصحراء، وإقامة نفق شبرا، وإنشاء مدرسة للرسم، وشق الطرق واستصلاح مساحات من الأراضي، وغيرها الكثير من المشروعات المقترحة التي نفذ بعضها ورفض بعضها، كما حاولوا تحقيق هدفهم الأكبر بإنشاء مدينة في

مصر تخلد أعمالهم تحت اسم "مدينة سان سيمون الجديدة" ولكنهم فشلوا في ذلك^(١٠).



شارل لامبير (١٨٠٤ : ١٨٦٤ م)

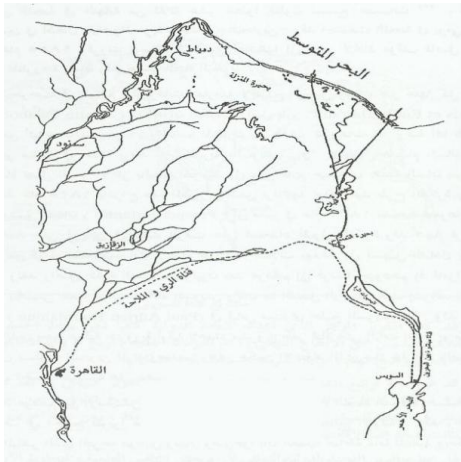


أعلام الفكرالسان سيموني (بارو وشفالبيه ودوفيريه)

بدأت المشروعات السان سيمونية تميل إلي الانهيار في مصر بمجرد إحساس محمد علي بأن هؤلاء الأجانب يدعون بأنهم هم سبب كل المشروعات المقامة في مصر، كما أن الصحف في أوروبا أكدت علي هذه الأخبار التي تُعلي شأن السان

سيمونيين علي حساب دور الوالي، وبناءً علي ذلك رفض محمد علي الكثير من المشروعات السان سيمونية المقدمة إليه، وخاصة "مشروع قناة السويس" الذي رفضه خوفاً من التدخل الأجنبي في مصر^(١١).

السان سيمونيون وفكرة قناة السويس قبل ديليسبس:
كانت فكرة قناة السويس من المخططات الأولى التي وضعها سان سيمون ضمن مشروعاته الاقتصادية، ولكنه توفي قبل وضع أي تصور للموضوع، وترك الفكرة لأتباعه من بعده، لذا وضع خليفته بروسبير إنفانتان هذا المشروع في خطواته الأولى لتحقيق الحلم السان سيموني الذي يهدف إلي زيادة حركة التبادل التجاري بين الشرق والغرب عن طريق تنفيذ هذه المشروعات التي ستؤدي في النهاية إلي إنعاش الصناعة العالمية.



خريطة مشروع قناة السويس

دعا السان سيمونيون معظم الدول الأوروبية للمشاركة في تنفيذ مشروع شق قناة تصل البحرين المتوسط بالأحمر، ولتحقيق ذلك شجعوا علي إقامة مؤتمر أوروبي يتكون من كل ملوك أوروبا لدراسة هذا المشروع حتي وإن اضطر الأمر إلي انتزاع الدول الأوروبية لمنطقة قناة السويس من محمد علي.

ومع فشلهم في تحقيق ذلك قرر السان سيمونيون الاعتماد علي العمل الفردي لتنفيذ هذا المشروع عن طريق الاتفاق مع القنصلية الفرنسية في مصر بقيادة القنصل ميمو (Mimaut) الذي حاول جاهداً إقناع الوالي محمد علي بفكرة إنشاء القناة، ولكنهم فشلوا في إقناعه للأسباب المذكورة في السطور السابقة، وعاد بروسبير أنفانتان وأتباعه إلي فرنسا في أوائل عام ١٨٣٧م دون أن ينفذوا مشروع القناة^(١٢).

وعلي الرغم من فشل المحاولة الأولى للسان سيمونيين، إلا أنهم لم ينسوا المشروع، وبمجرد عودتهم إلي فرنسا أخذوا علي عاتقهم مهمة إقناع أصحاب رؤوس الأموال في مختلف الأقطار الأوروبية للحصول علي موافقتهم في المساهمة في تنفيذ مشروع القناة، كما قاموا بنشر العديد من المقالات والدراسات في الصحف الأوروبية بشأن هذا المشروع، وكان أشهر هذه المقالات ما نشره أوجست كولان عام ١٨٣٨م في مجلة (les Deux Mondes) حول فائدة إنشاء هذه القناة التي ستسهل حركة السفن بين مصر والعالم^(١٣).



فشل السان سيمونيون في كل الحلول التي تتيح لهم حق احتكار فكرة تأسيس القناة، وخاصة بعد تدخل الانجليز لتخوفهم من خطر المشروع علي مصالحهم في الهند، مما دفعهم إلي عرقلة كل المساعي السان سيمونية بالاتفاق مع الوالي المصري عباس حلمي الأول (١٨٤٩-١٨٥٤م) لإنشاء خط سكة حديد بين القاهرة والإسكندرية بدلاً من مشروع القناة، كما أن وفاة عباس حلمي وتولية محمد سعيد باشا (١٨٥٤-١٨٦٣م) أدى إلي تغيير دفة المشروع، ليدخل في حيز التنفيذ علي يد الدبلوماسي الفرنسي فردينان ديليسبس، الذي كانت تربطه علاقة صداقة كبيرة جداً مع الوالي محمد سعيد؛ مما أتاح له فرصة الحصول علي امتياز حفر قناة السويس^(١٤).

الهوامش:

- (١) طلعت عيسي: سان سيمون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩ م، ص ٢٢، ١٧. جلال حسن صادق: قادة الفكر الاشتراكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ نشر، ص ٣٢. محمد طلعت عيسي: أتباع سان سيمون فلسفتهم الاجتماعية وتطبيقها في مصر، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٣ م، ص ١٠، ٩.
- (٢) جلال حسن صادق: المرجع السابق، ص ٣٤.
- (٣) محمد مدحت مصطفى: السان سيمونية والباشا، رؤية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤ م، ص ٩.
- (٤) طلعت عيسي: سان سيمون، ص ٢٩.
- (٥) محمد مدحت مصطفى: المرجع السابق، ص ١٨-١٤.
- (٦) فيليب رينييه: السان سيمونيون في مصر "١٨٣٣-١٨٥١ م"، ترجمة: أمل الصبان، وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١ م، ص ٦٤. طلعت عيسي: سان سيمون، ص ٨٩، ٨٨.
- (٧) طلعت عيسي: سان سيمون، ص ٩٠. فيليب رينييه: المرجع السابق، ص ٥٨، ٥٧.
- (٨) فيليب رينييه: المرجع السابق، ص ٨٣، ٥٧.
- (٩) المرجع نفسه، ص ١٠٧، ١٧، ١٨.
- (١٠) محمد حافظ دياب: الطهطاوي وخطاب السان سيمونيين في مصر "دراسة منشورة ضمن ندوة رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في ابريل ٢٠٠٢ م"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧ م، ص ٦٩٥، ٦٩٦. فيليب رينييه: المرجع السابق، ص ١٢٥.
- (١١) محمود صالح منسي: مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفردينان دي لسبس، دارالاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٧١ م، ١٤٢، ١٤٥. رفيق سكري: السان سيمونيون كرواد لعصر النهضة في مصر، مجلة الفكر العربي، العدد (٣٩)، المجلد (٦)، معهد الإنماء العربي (لبنان)، أكتوبر ١٩٨٥ م، ص ١٥١.

(١٢) مجدي فارح: العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب في مصر "جدلية الانبهار والحوار من الحملة الفرنسية إلى البعثة السان سيمونية"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، العدد (١٤١)، السنة (٥٠)، تونس، ٢٠١٣ م، ص ٢١٥. محمود صالح منسي: المرجع السابق، ص ١٤٦.

(١٣) فيليب رينييه: المرجع السابق، ص ١٨٢، ١٨٣.

(١٤) نتالي مونتل: حفر قناة السويس المشروع والتنفيذ (١٨٥٩ - ١٨٦٩ م)، ترجمة: عباس أبو غزالة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥ م، ص ٢١، ٢٢. محمود صالح منسي: المرجع السابق، ص ١٤٦.

مذكرات مسافر

"رؤية الفيلسوف المصري مصطفى عبد الرازق للأخرا الأوروبي" (*)

تعتبر رحلة المفكر والفيلسوف المصري مصطفى عبد الرازق "١٨٨٥-١٩٤٧م" ^(١) إلى بلاد أوروبا من أهم التجارب الحياتية التي تدخلت بشكل مباشر في تكوين فكره التنويري. فعن طريق هذه الرحلة أطلع علي الكثير من المعارف الأوروبية التي أكسبته المزيد من المعلومات عن الأخرا الأوروبي وعلومه المتقدمة في ذلك الوقت، وعن طريقها أيضاً تعرف علي بعض المستشرقين الأوروبيين الذين بادلوه الكثير من الثقافات المختلفة، وعن طريقها أيضاً أطلع علي عادات وتقاليده المجتمع الأوروبي وأساليب التمدن الحديث الذي لم يشهده الشرق العربي كافة بما فيه مصر، لذا سناحاول في السطور التالية تقديم عرض تحليلي موجز عن هذه الرحلة المهمة بهدف الوصول في النهاية إلى أبعاد رؤية مفكر مصري دون كل ما وقعت عليه عيناه، بل ونشرها أيضاً في صحف رسمية، لخدمة أبناء وطنه "مصر"، ولمعرفة الفارق الحضاري بين الأنا المصرية والأخرا الأوروبي في ذلك الوقت.

بدأت فكرة سفر الشيخ مصطفى عبد الرازق إلى أوروبا في صيف عام ١٩٠٧م ^(٢)، وتحديداً عقب استقالته من مدرسة القضاء الشرعي، واشترائه في جمعية "تضامن العلماء" والتي نادى وقتها بإصلاح الأزهر، حيث جاءت فكرة السفر "كمحاولة لإبعاده عن بؤرة الأحداث، خصوصاً أن الاضطرابات كادت

(*) نشر هذا الموضوع بمجلة الثقافة الجديدة، العدد (٣٢١)، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، يونيو ٢٠١٧م. ونشر أيضاً بعض أجزاء منه في الذكري السبعين لوفاته الشيخ مصطفى عبد الرازق بجريدة (المصريون)، في أول مارس ٢٠١٧م.

تعم أرجاء الأزهر"^(٣)، وكما جاء علي لسان شقيقه "علي عبد الرازق" أن فكرة سفر الشيخ مصطفى إلي أوروبا نبعت بعد "تفاقم الفتنة في الأزهر، وكثرة الاضطرابات والإرجاف"، فنشأ "التفكير في أن يسافر أخي مصطفى إلي فرنسا لدراسة اللغة الفرنسية وبعض العلوم هناك، وكانت هذه الفكرة موضع بحث طويل بينه وبيننا، نحن أخوته، وكثيراً ما تداولنا وقلبنا وجوه الرأي.. ثم اتفقنا علي أن يسافر إلي باريس ليقوم فيها سنة كاملة ليتعلم اللغة ويحضر دروس الفلسفة في السوربون..."^(٤)، وهو ما أكد عليه الشيخ مصطفى عبد الرازق شخصياً في حديث له مع مجلة الهلال في فترة لاحقة قائلاً: "استقلت من مدرسة القضاء الشرعي وتركت الأزهر وذهبت إلي أوروبا أطلب العلم هناك"^(٥). وأما عن تصنيف رحلة الشيخ مصطفى عبد الرازق إلي أوروبا، فيمكننا تصنيفها تحت صنف "الرحلات الوصفية" التي وصفت الحياة اليومية للشعب الأوروبي وعاداته وتقاليده، ومظاهر عمرانه، ونظمه الاجتماعية والثقافية^(٦)، كما أن رحلته تميزت بالدقة في ذكر بعض المظاهر الاجتماعية التي شاهدها بعينه، وهذا ليس بغريب علي وصف شاب لم يقم برحلة خارج وطنه من قبل، وهو ما صرح به في بداية الحديث عن رحلته قائلاً: "وكنت يومئذ فتى لم ير ما وراء القاهرة من جهة الشمال، ولم يعرف البحر سفائنه في موج كالجبال.. ولم أسكن في غير دارنا، ولا عشت إلا بين أهلي، ولا نطقت إلا لغتهم..."^(٧)، كل ذلك جعل وصفه يتميز بالدقة المتناهية في ذكر بعض الأشياء، وخاصة مع وصف بعض عادات وتقاليد المجتمع الأوروبي.



الشيخ مصطفى عبد الرازق "١٨٨٥-١٩٤٧م"

وإذا حاولنا تحليل رؤية الشيخ مصطفى عبد الرازق لبلاد أوروبا وشعبها في "مذكرات مسافر" فسنجد أن رؤيته اختلفت كثيراً عن رؤية أي شخص آخر سافر إلى أوروبا في تلك الفترة. فقد تميزت رؤيته لبلاد أوروبا "بالوصف المقارن" الذي جعله يدقق في تفاصيل بعض الأشياء بهدف الوصول في النهاية إلى أوجه الشبه والاختلاف بين مصر وبلاد أوروبا، ويمكننا الاستدلال على ذلك من خلال وصفه لعادات وتقاليد الشعب الأوروبي بصفة عامة. فمثلاً عندما وصف مظهر النساء الأوروبيات تعجب قائلاً: "والقيامة قائمة الآن في أوروبا علي الشعور فقد أصبحت النساء تقصر شعورهما كالرجال سواء بسواء، فلم يعد لتلك الوجوه الفضية إطار من ذهب.. وليست السيدات هنا قصيرات الشعر وحده ولكنهن قصيرات الأكمام"، لقد حاول الشيخ مصطفى من خلال هذا الوصف إبراز أوجه الاختلاف بين النساء الأوروبيات والنساء المصريات المختلفات في المظهر عن نساء أوروبا المتحررات كثيراً في هذا الشأن^(٨). وأما عن وصفه "للبلدان الأوروبية" فقد تميز بالانحياز في أغلب مشاهداته. فعندما وصف أول مدينة فرنسية وطأت قدماه عليها وهي مدينة "ليون"،

وصفها بأنها مدينة كبيرة تشتهر بالطب لدرجة أن الكثير من المصريين يتوجهون إليها للعلاج من بعض الأمراض^(٩).



مقال للشيخ مصطفى عبد الرازق بمجلة "مجلة" سبتمبر ١٩٣٥م

وعندما دخل باريس وصفها بأنها "موجود حي، تنبعث الحياة من أرضه وسمائه، وصبحه ومساءه، ورجاله ونسائه.. باريس عظيمة، بكل ما تحتل هذه العبارة من معاني الحياة والإجلال والجمال والذوق والفكر والانسجام والخلود.. في باريس جمال يجمع بين أبدع ما يتجدد من نتاج الذوق والفن وبين جلال القدم.. ليست باريس صنع شعب من الشعوب، ولا عمل عصر من العصور، ولكنها جماع ما استصفاه الدهر من نفائس المدينيات البائدة، وما تمخض عنه ذوق البشر وعقلهم وعملهم من آيات الفن والعلم والجمال.. باريس جنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، فيها للأرواح غذاء وللأبدان غذاء، وفيها لكل داء في الحياة دواء. فيها كل ما ينزع إليه ابن آدم من جد ولهو، ونشوة وصحو، ولذة وطرب، وعلم وأدب، وحرية في دائرة النظام لا تحدها حدود، ولا تقيدتها قيود..."، وعلي الرغم من مدحه الطويل لباريس وجمالها، إلا أنه وصف مصر بـ "ملكة المدائن" وذكر حادثة عالم من العلماء المصريين

ذهب إلي باريس وظل بها فترة طويلة، وعندما عاد إلي وطنه مصر " لم يتمالك أن ارتمي علي أرضها وجعل يعفروجهه في تراب الحرية" (١٠).
وفي رؤيته "لشباب فرنسا" فقد وصفهم بالهمة والنشاط في سعيهم لتحصل العلم لدرجة أنهم لا يستغنون عن قراءة الكتب حتى أثناء يوم أجازتهم، كما أنه لاحظ توافد الكثير من طلاب العلم من مختلف الجنسيات بهدف الدراسة بجامعات فرنسا، كما أنه قيم كل جنس من هؤلاء الطلاب قائلاً: "وأكثر الطلاب الأجانب جداً وعملاً وانتفاعاً بالمقام في أوروبا هم اليابانيون - في ما سمعت- وأكثرهم رفهاً وانصرافاً إلي اللعب، وتضييعاً للدرس هم الرومانيون"، وفي حديثه عن الطلاب المصريين وصفهم بنوع من الحيادية قائلاً: "ليسوا من خير الطلاب ولا من شرهم، إلا أنهم ممتازون بالتأنق والرشاقة" (١١).



مقال للشيخ مصطفى عبد الرزاق بمجلة "مجلي" فبراير ١٩٣٧م

لم يترك الشيخ مصطفى عبد الرزاق أي شيء في فرنسا إلا ووصفه وصفاً دقيقاً لدرجة أنه وصف الحقائق والمنتزهات وما بها من أشجار عتيقة "قد اسودت جذوعها، واخضرت أعاليها خضرة مشوبة باصفرار، وشقت بين صفوفها مسالك، تظللها الأغصان المتشابكة، كأنك بينها في سحر يتنفس

صباحه في أعقاب ليل، وكأنك في تجلي الأسحار وفي هدهداتها"، ومن خلال هذا الوصف يتبين لنا مدي الإعجاب الشديد الذي لحق بالشيخ مصطفى أثناء وجوده في فرنسا وجعل وصفه يشبه اللوحة الحية للقارئ الشرقي في ذلك الوقت^(١٢).

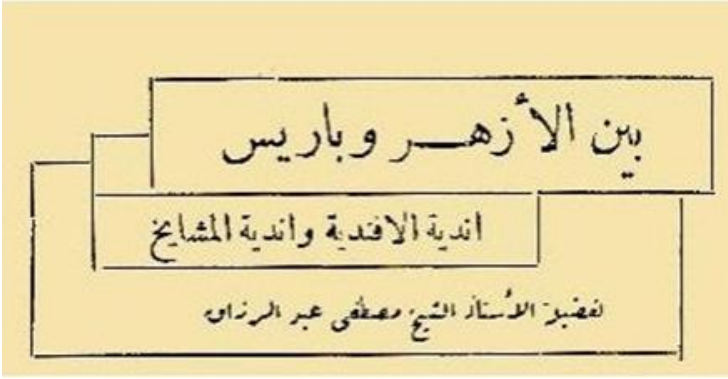
وفي وصفه "لريف فرنسا" قدم صورة في غاية الروعة. فالريف الفرنسي في عينيهِ كان كالجنة المليئة بالأشجار الخلافة والبحيرات والأنهار الجميلة النقية التي تريح العين بمجرد النظر إليها "كأنما نرى صورة أبدع الفنان رسمها وتألّف ألوانها.. وحيثما وجهت وجهك فثم خضرة وماء ووجوه حسناء"، وعندما تحدث عن منازل المزارعين الفرنسيين وصفها بأنها منازل تحيط بها مزارع الكروم، وحدائق الفاكهة، ومراعي الغنم، وبجانها مصانع النسيج ومخازن المحصول واسطبلات الخيول^(١٣).

استغرقت الرحلة الأولى للشيخ مصطفى لبلاد أوروبا حوالي ثلاث سنوات متتابعات تأثر خلالها بالثقافة الأوروبية الحديثة، وتعلم الفرنسية وأدائها وحضر دروس الفلسفة وعلم الاجتماع تحت إشراف العالم الفرنسي دركهايم، وهو ما ذكره محمد كرد علي في مذكراته قائلاً: "سافر إلي باريس سنة ١٩٠٩م فتعلم الفرنسية وحضر دروس الأستاذ دركهايم في الاجتماع ودروساً في الآداب وتاريخها"^(١٤).

عاد الشيخ مصطفى عبد الرزاق إلي مصر عام ١٩١٢م في زيارة قصيرة، ثم عاد مرة أخرى في نفس العام إلي فرنسا بهدف إتمام دراسته بها^(١٥)، وفي هذه المرة زار مارسيليا وقال عنها أنها "بلد فيه فخامته وفيه حركته، لكن جماله قليل"^(١٦)، كما زار مدينة "جرينوبل" وذكر أنها مدينة جميلة يجري بها نهر الأيذر، كما أنها تتميز بالجبال الرائعة^(١٧).

وعندما ذهب في رحلة إلى مدينة "لندن" قارن بينها وبين باريس قائلاً:
"لندره ساكنة لا تسمع في مجامعها ولا شوارعها ولا نواديها إلا أصواتاً متخافتة
لولا آلات البخار. أما باريس فكل شيء فيها يصبح كأنما هي دوحة تتجاوب
الأطيار علي أفنانها الراقصة وأول ما يصبح في باريس الجمال. وكم في لندره من
جمال لا يصيح.. في باريس كل ما تشتهي من جد ولهو. ولكن شيئاً واحداً لا
تجده في باريس وهو الراحة. لأن عاصمة الفرنسيين تهز قلبك هزاً عنيفاً
وتحرك عقلك تحريكاً شديداً ولا تترك لجسمك فترة في ذلك المضطرب الهائج.
أما لندره ففيها سكون مريح وفي كل جوانب الحياة بها اعتبار للراحة من غير
إخلال ببواعث النشاط والقوة والجد"^(١٨).

ومما سبق يتضح لنا أن الشيخ مصطفى عبد الرزاق تأثر تأثراً كبيراً بفرنسا
أكثر من أي دولة أوروبية أخرى، وقد ظهر ذلك بوضوح فيما صرح به ونشره
من مقالات بعد عودته من هذه الرحلة، ومنها علي سبيل المثال ما ذكره في
حديثه لمجلة الهلال عام ١٩٢٦ م حول "أهم الكتب التي أفادته" فذكر أن من
أهمها كان كتاب "حياة المسيح" للمؤلف رينان الفرنسي وهو أول الكتب التي
أطلع عليها بالفرنسية، ونصح بضرورة الاتصال الفكري بين مصر وأوروبا
بشكل عام لمسايرة "الرقى العقلي بين البشر"^(١٩).



مقال للشيخ مصطفى عبد الرازق في مجلة (مجلتي)
عدد أغسطس ١٩٣٥م

كما أن رؤية الشيخ مصطفى عبد الرازق لبلاد أوروبا في ذلك الوقت لم تقتصر فقط علي وصف هذه البلاد وطبيعتها، بل حاول نشر أركان الحداثة الأوروبية بين مثقفي مصر بعد عودته من أوروبا، وهو الأمر الذي أكدت عليه أغلب كتاباته بعد ذلك^(٢٠)، وحاول إبراز الفارق بين الحياة المصرية والحياة في أوروبا، ويمكننا الاستدلال علي ذلك بما صرح به لمجلة الهلال في عام ١٩٢٩م قائلاً: "الفرق بين باريس والقاهرة هو فرق ما بين الحياة المصرية والحياة الفرنسية. فالأولي بطيئة والثانية سريعة. والمصري لأول نزوله باريس يسير في شوارعها متباطئاً حتى أن الذين خلفه يسبقونه ويحتاج إلي مدة غير قصيرة قبل أن يتخلق بأخلاقهم ويسير علي خطاهم"^(٢١).

الهوامش:

(١) أختلف الكتاب المهتمون بتدوين سيرة الشيخ مصطفى عبد الرازق حول تحديد تاريخ ميلاده. فالبعض أشار أن ميلاده كان عام ١٨٨٢م، والبعض قال أن ميلاده كان عام ١٨٨٥م، ولكن توصل الباحث التونسي "عبد الله الزرلي" في رسالته للماجستير التي نوقشت عام ١٩٨٩م بجامعة تونس عن موضوع "مصطفى عبد الرازق حياته وأثاره" إلى أن تاريخ ميلاده كان عام ١٨٨٥م مستنداً في ذلك إلى آراء أغلب المعاصرين للشيخ مصطفى. وللمزيد حول هذه النقطة أنظر: عبد الله الزرلي: مصطفى عبد الرازق " حياته وأثاره ١٨٨٥-١٩٤٧م"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة تونس، ١٩٨٩م، ص ٤١.

(٢) سعيد اللاوندي: عمائم وطرايش "مصريون عاشوا في باريس"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٧٥.

(٣) سامي السهم: مصطفى عبد الرازق في أوروبا، مقال منشور في مجلة الهلال، العدد (١٤٨١)، يوليو ٢٠١٦م، ص ٩٩. أنظر أيضاً: سعيد اللاوندي: المرجع السابق، ص ١٧٥.

(٤) علي عبد الرازق: مصطفى عبد الرازق "نبذة عن تاريخ حياته"، في كتاب: من أثار مصطفى عبد الرازق، تقديم: طه حسين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٤٩.

(٥) مصطفى عبد الرازق: أهم حادث أثر في مجري حياتي، مجلة الهلال، الجزء (٦)، السنة (٣٨)، إبريل ١٩٣٠م، ص ٦٧١.

(٦) الحبيب الجنحاني: الرحلة إلى أوروبا "النهضة العربية ومشروع الحداثة"، في كتاب: الغرب بعيون عربية، الجزء الأول، وزارة الإعلام - مجلة العربي، الكويت، ٢٠٠٥م، ص ٥٠.

(٧) مصطفى عبد الرازق: مذكرات مسافر، ضمن كتاب: من أثار مصطفى عبد الرازق، مصدر سابق، ص ٣٨٧.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

- (٩) نفسه، ص ٣٩٢.
- (١٠) نفسه، ص ٣٩٩.
- (١١) نفسه، ص ٤٠٠.
- (١٢) نفسه، ص ٤٠١.
- (١٣) نفسه، ص ٤٠٤.
- (١٤) محمد كرد علي: المذكرات، نقلاً عن: علي عبد الرازق: المصدر السابق، ص ٥٠.
- (١٥) علي عبد الرازق، المصدر السابق، ص ٥١.
- (١٦) مصطفى عبد الرازق: المصدر السابق، ص ٤١٩.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٤٢٣.
- (١٨) نفسه، ص ٤٣١.
- (١٩) مصطفى عبد الرازق: الكتب التي أفادتني، مجلة الهلال، الجزء (٢)، السنة (٣٥)، ديسمبر ١٩٢٦ م، ص ١٥١.
- (٢٠) مصطفى عبد الرازق: بين الأزهر وباريس "أندية الأفندية وأندية المشايخ"، مقال منشور في مجلة (مجلة)، ١٥ أغسطس ١٩٣٥ م، ص ٥٥٧. أنظر أيضاً: مصطفى عبد الرازق: بين دار العلوم وباريس، مجلة مجلتي، ١ سبتمبر ١٩٣٥ م، ص ٦٤١. ومصطفى عبد الرازق: في أوروبا "المشية الجديدة"، مجلة مجلتي، المجلد (٥)، العدد (٤٩)، فبراير ١٩٣٧ م، ص ٤١٧.
- (٢١) مصطفى عبد الرازق: ساعة مع الشيخ مصطفى عبد الرازق، مجلة الهلال، الجزء (١٠)، السنة (٣٧)، أغسطس ١٩٢٩ م، ص ١١٦٥.

عبد الرحمن الكواكبي وجدلية الاستبداد في الفكر العربي الحديث

عبد الرحمن الكواكبي (الملقب بالسيد الفراتي) هو عبد الرحمن بن الشيخ أحمد الكواكبي، ولد عام ١٨٥٤م في مدينة حلب بسوريا، وهو من أسرة الكواكبي التي كانت فيها نقابة الأشراف في حلب، ولها مدرسة تسمى المدرسة الكواكبية، تعلم الكواكبي القراءة والكتابة في المدارس الأهلية الابتدائية ثم احضر له والده أستاذاً علمه أصول اللغتين التركية والفارسية، وتلقى العلوم العربية الشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأسرته، وثقف نفسه بالعلوم الرياضية والطبيعية^(١).

عُيّن عبد الرحمن الكواكبي محرراً لجريدة فرات الرسمية بقسمها التركي والعربي في مدينة حلب، ثم عُيّن كاتباً فخرياً للجنة المعارف، وقاضياً شرعياً في بلدة من البلاد السورية، ثم عين رئيساً للبلدية، وبعدها قرر الكواكبي اعتزال كل الوظائف الحكومية التي كان يتولاها بسبب الأساليب التي كان يستخدمها النظام الحاكم - المتمثل في الدولة العثمانية آنذاك - من استبداد وفساد في الإدارة. فنظر إلى هذا النظام بسخط شديد، وأرجع إليه كل العوامل التي أدت إلى تأخر أحوال الأمة العربية، وبدأ يهاجم النظام الحاكم في عدة مقالات صحفية أظهر فيها أساليب الفساد والاستبداد وكيفية التخلص منها، وذلك بهدف نشر الوعي بين الشعب لمواجهة هذه الأساليب التي تؤثر بشكل سلبي على مستقبل الأمة العربية^(٢).



عبد الرحمن الكواكبي
(١٢٧١-١٣٢٠هـ/١٨٥٤-١٩٠٢م)

جمع الكواكبي كل المقالات الصحفية التي نشرها حول مفهوم الاستبداد في كتابيه: "طبائع الاستبداد"، الذي وجه فيه نقده الشديد إلى النظام الحاكم آنذاك، و"أم القري" الذي وجه فيه نقداً شديداً إلى كل الشعوب الإسلامية التي تُحكم بالاستبداد، ونتيجة لذلك دخل عبد الرحمن الكواكبي في صراع طويل مع السلطة الحاكمة التي هاجمت كتاباته واعتبرتها من الموضوعات المحرمة التي تمس نظام الحكم من قريب. فهاجر الكواكبي إلى كثير من بلدان أفريقيا الشرقية وآسيا الغربية لمحاولة نشر فكره في هذه البلاد، ثم انتهي به المطاف في مصر التي وجد بها ضالته لنشر تلك الأفكار التي تحاول نشر الوعي بين الشعوب لمعرفة حقوقهم وواجباتهم وتدفعهم نحو التصدي للظلم والاستبداد^(٣).

نشر الكواكبي كل أفكاره حول مفهوم الاستبداد وأسبابه في الكثير من الصحف المصرية، وأشار بذلك في كتابه طبائع الاستبداد قائلاً: "وسعت تلك المباحث، خصوصاً في الاجتماعيات، كالتربية والأخلاق، وأضفت إليها طرائق التخلص من الاستبداد، ونشرت ذلك في كتاب سمّيته "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"، وجعلته هدية مني للناشئة العربية المباركة الأبية المعقودة آمال الأمة بيؤمن نواصهم، ولا غرو في شباب إلا بالشباب"^(٤).



الطبعة الأولى من كتاب طبائع الاستبداد

أما بالنسبة لمفهوم الاستبداد فقد عرفه الكواكي في كتابه "طبائع" بأنه غرور يصيب المرء فيجعله منفرداً برأيه ولا يتقبل أي رأي آخر يعارضه، "ويراد بالاستبداد، عند إطلاقه، استبداد الحكومات - أي حكام الدولة العثمانية ومعاونيهم- خاصة، لأنها أعظم مظاهر أضرارها التي جعلت الإنسان أشقي ذوي الحياة، وأما تحكم النفس علي العقل، وتحكم الأب والأستاذ والزوج، ورؤساء بعض الأديان، وبعض الشركات، وبعض الطبقات، فيوصف بالاستبداد مجازاً..."، و الكواكي بذلك يرد أساس مظاهر الاستبداد إلي الحكومات في المقام الأول، وذلك لأنها أول من يستخدمه بكل شدة وعنف، ولكن استخدام الأب أو الزوج أو أي فرد أو جماعة لهذا الاستبداد يعتبر استخداماً شكلياً علي عكس الحكومة المستبدة التي تطبقه بكل حذافيره^(٥).

وأوضح أن أشد مراتب الاستبداد تتمثل في حكومة الفرد المطلق الوارث للعرش والذي يتحكم في كل السلطات حتى السلطة الدينية، وأن هذا الحاكم يقل استبداده كلما فقد جانب من هذه الجوانب إلي أن ينتهي الأمر بالحاكم المنتخب^(٦)، كما أنه أشار في كتابه (أم القرى) عن مبدأ الشورى- الذي ناقشه في فكرة مؤتمر النهضة الإسلامية^(٧)- باعتباره من أهم المبادئ التي تقضي علي استبداد الحاكم^(٨).

أموال القرى

للسيد الفراتي

وهو ضبط مفارشات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية

المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣١٦

نُطِّقَ بِمِنْشُورِهِ الْخَازِنُ الْأَوَّلُ شَيْخُ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بَيْتَر
صاحبها : مصطفى محمد

الطبعة الأولى : ١٩٣١ ميلادية
١٣٥٠ هجرية — ١٩٣١ ميلادية

كتاب أم القرى للكواكي (الملقب بالسيد الفراتي)

أما عن المساوي التي تتعرض لها الشعوب في ظل الحكم المستبد فقد أرجعها الكواكي إلى عدة أشياء مهمة، منها استيلاء المستبد وأعوانه علي أموال الرعية، وتركهم للفقر الدائم الذي يقضي علي أحلامهم المستقبلية في النهاية، كما أن الحكم الاستبدادي لا يوفر للرعية الأمن والأمان سواء علي أنفسهم أو علي أموالهم، وفي ذلك يقول الكواكي: "حفظ المال في عهد الإدارة المستبدة أصعب من كسبه، لأن ظهور أثره علي صاحبه مجلبة لأنواع البلاء عليه، ولذلك يضطر الناس زمن الاستبداد لإخفاء نعمة الله والتظاهر بالفقر..."^(٩).

كما أن الاستبداد يكون سبباً رئيسياً في تكوين فئة قليلة من الناس تتحكم وتستغل الفئة الكبيرة الضعيفة في المجتمع وتفرض وجودها عليها، وذلك بحكم سيطرة هذه الفئة علي الكثير من شئون الرعية تحت ظل الحكم

الاستبدادي الذي لا يطبق مبدأ العدالة الاجتماعية بقدر تطبيقه لمبدأ الاستغلال والتحكم في المقام الأول، ويؤدي الاستبداد أيضاً إلى فساد أخلاق الأمم، وظهور الحقد بين طبقات المجتمع، وضعف الولاء للوطن نتيجة عدم الإحساس بالأمان والاستقرار مما يؤدي في النهاية إلى الانتقال من الوطن والبحث عن هوية أخرى بعيدة عن الحكم المستبد، وأما عن الأسرة فيضعف فيها الحب ويفقد الفرد انتمائه لها لأنه لا يطمئن علي نفسه وعلي دوام علاقته معها^(١٠).



جريدة الكون ونبا تربص السلطان عبد الحميد العثماني بالكواكبي

أما عن الحياة الفكرية في ظل الحكم الاستبدادي فتكون علي درجة كبيرة من الانهيار والدمار، ويشير الكواكبي إلى ذلك بقوله: "الاستبداد يسلب الراحة الفكرية فيضني الأجسام فوق ضناها بالشقاء، فتمرض العقول ويختل الشعور علي درجات متفاوتة في الناس"، كما يؤدي الاستبداد إلي تدمير الرقي الإنساني بكل جوانبه، ويغير مسار الفرد من سعيه نحو الرقي بالذات إلي اللامبالاة، وهو ما أوضحه الكواكبي في كتاب "طبائع" بقوله: "وقد يبلغ فعل الاستبداد بالأمة أن يحول ميلها من طلب الترقّي إلي طلب التسفل، بحيث لو

دفعت إلى الرفعة لأبت وتألّت لما يتألّم الأجهر(الذي لا يُبصر بالنهار) من النور"^(١١).



جريدة الكون "موقف الدولة العثمانية من كتاب طبائع الاستبداد"

وفي النهاية يمكننا القول أن جدلية الاستبداد عند الكواكبي لم تكن نابعة من ذاته وشخصيته ضد الحكم المطلق المتمثل في الدولة العثمانية آنذاك، بل كانت هناك عدة عوامل أثرت بشكل كبير في فكر الكواكبي، وجعلته يندفع لمناقشة هذه القضية الخطيرة، وأهمها ما لاحظته من ضعف في الثقافة والمعرفة لدى الأمة العربية، كما أن تراجع وسائل الطباعة والنشر في الشرق العربي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، واقتصارها على بعض المجالات المعينة، أدّى ذلك إلى خلق نوع من تراجع الفكر وظلام العقول وهو ما أراده الحكم العثماني المطلق لتحقيق السيطرة الكاملة على المجتمع وأفكاره آنذاك، كل هذه العوامل كانت سبباً رئيسياً لتبلور قضية الاستبداد عند الكواكبي، وعلي الرغم من مطاردة السلطة العثمانية لهذه الأفكار، إلا أنه نجح في نشر فكرته بين طبقات المجتمع العربي بشكل كبير.

الهوامش:

- (١) سعد زغلول الكواكبي: عبد الرحمن الكواكبي (السيرة الذاتية)، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٥.
- (٢) محمد عمارة: عبد الرحمن الكواكبي (شهيد الحرية ومجدد الإسلام)، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ص ٢٣ - ٢٧.
- (٣) أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص ٢٥٢.
- (٤) عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م، ص ٣١.
- (٥) المصدر نفسه، ص ٣٧.
- (٦) نفسه، ص ٣٨.
- (٧) "جمعية (أم القرى) اسم أطلقه الكواكبي علي مؤتمر تخيل انعقاده في مكة المكرمة، وجمع فيه مندوبين ينوبون عن أمم العالم الإسلامي في المشرق والمغرب يمثلون بلاد الهند والصين وأفغان والعرق والحجاز والمغرب ونجد واليمن ومصر وتونس ومراكش. وغيرها من الأقاليم المشتركة بين هذه الأقطار، ومن ثم كان هذا الكتاب مجرد فكرة، أو حلم كان يستهدف تحقيقه". إبراهيم رفعت: الثائر العربي عبد الرحمن الكواكبي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص ٢٥، ٢٦.
- (٨) عبد الرحمن الكواكبي (السيد الفراتي): أم القرى (ضبط مقاضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣١٦هـ)، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ص ٥٨، ٥٩.
- (٩) عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد، ص ١٠١.
- (١٠) إبراهيم رفعت: المرجع السابق، ص ٣٥. سامي الزهران: عبد الرحمن الكواكبي "١٨٥٤ - ١٩٠٢م"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٤٨.
- (١١) عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد، ص ١٠٨، ١٤٣.

مفهوم رؤية الآخر في العلم الإنساني الحديث

يعتبر مفهوم رؤية الآخر من أهم المفاهيم الاصطلاحية والعلمية التي تعرضت لها العلوم الإنسانية في وقتنا المعاصر، وبما أن هذا المفهوم يُشكل أهمية كبيرة في تلك العلوم لذا كان من الضروري توضيح هذا المفهوم، ومعناه فيها، كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، وكذلك بعض العلوم الفرعية الأخرى كعلم الفقه السياسي علي سبيل المثال، وبما أن المقام لا يسعنا هنا لعرض تفاصيل الموضوع بمختلف زواياه في تلك العلوم، لذا اقتصر الحديث علي التعريفات المبدئية التي صاغتها بعض العلوم الإنسانية لهذا المفهوم، وتعرضت لتحليله. البداية مع علم المصطلح اللغوي الذي عرف مفهوم "الآخر" ومقصوده في كلمة "الغير"، مثلما يُقال: "رجلٌ آخرٌ" أو "ثوب آخرٌ"، وأصل الكلمة من "أفعلٌ" وأساسها من التأخر، وتصغير كلمة آخر "أُوخِرٌ"، وجمع الآخر المذكر "آخرون"، وجمع المؤنث "أُخرواُخِرَيَات" ^(١).

وبالنسبة لعلم النفس الاجتماعي فقد عرف "الآخر" علي أنه الشخص الذي تربطه علاقة فردية أو ثنائية أو جماعية داخل الكيان الاجتماعي، وهذه العلاقة تؤثر بشكل كبير علي سلوك كل طرف تجاه نظيره الآخر، كما أن خبرة كل واحد تتأثر بخبرة الآخر وتتعلق به. فالأخرفرد داخل الجماعة من الممكن أن يعرف ما نعرف، أو أنه لا يعرف ما نعتقد أنه يعرفه، وهو في نفس الوقت "أنا اجتماعي" تتحدد هويته من خلال الثقافات المختلفة وحضارات الجماعات التي ينتمي إليها، سواء كانت "الأسرة أو القرية أو الحي أو المدينة"، وكذلك

الدولة أو القارة أو العالم الخارجي بأكمله. أما عن علاقة أي فرد بنظيره الآخر داخل الكيان الاجتماعي الكبير فهي علاقة معقدة، ويصعب إدراكها وضبطها، إلا في زوايا محددة^(٢)، ويُستنتج من ذلك أن العلاقة الاجتماعية بين الأفراد، سواء داخل المجتمع الصغير أو العالم الكبير، علاقة متشعبة بتفاصيل دقيقة، وتختلف من فترة زمنية إلى أخرى.

أما عن "مفهوم رؤية الآخر" في ضوء النظريات الفلسفية فقد اختلف بين نظرية وأخرى، وتحدد علي حسب المجال المعرفي الذي تبحث فيه النظرية الفلسفية. وبما أن المقام لا يتسع للتعرض لكل النظريات الفلسفية التي تناولت هذا المفهوم ضمن أبحاثها، لذا اقتصر الأمر على نظرية فلسفية واحدة عرفت باسم "النظرية الوجودية" التي تعرضت للمفهوم بشكل بسيط، لأنها اعتبرت "الآخر" كالمرأة التي تري من خلالها الأنا نفسها في كل شيء. فمن خلال الآخر تتعرف الأنا على ذاتها وصورتها، وذلك لأن الإحساس بالذاتية أو الهوية يمر عند الإنسان عبر الإحساس بالاختلاف أو الآخريّة، وقد اعتبر الوجوديون حقيقة كون الإنسان موجوداً في العالم بين الآخرين من خلال اكتشاف وجوده خارج نفسه، وذلك عن طريق الآخر الذي يعكس صورته، بالإضافة إلى أن الآخر يدخل عنصراً مقوماً في صميم وجود الأنا وماهيتها، وأن الأنا لا تكون إلا من خلال توقفها على الآخر واستقلالها عنه في وقت واحد^(٣).

وأما إذا نظرنا إلى مصطلح الآخر من الناحية العرقية، فسنجد أن لفظ "الآخر" ورؤيته تحدد علي أساس اللون أو الإثنية (العرقية) أو الثقافة، أو القيم لهذا الآخر، وذلك للتعبير عن اختلاف العرق. فعلي سبيل المثال نظرت

الجماعات الأفريقية للكيان الأوروبي الذي تحكم فيهم، أثناء عصر تجارة العبيد، علي أنه "آخر أبيض" يختلف بطبيعته ونظرته لهم، لذا كان من الضروري مجابهته ومقاومته بشتى الطرق، حتي وإن كانت بسيطة أو محدودة، وهو الأمر الذي أدى بعد ذلك إلي بروز ما عرف لاحقاً بالوحدوية الأفريقية تحت مسمى "الجامعة الأفريقية" أو "الوحدة الأفريقية" التي تهتم بكل الرؤى الأفريقية، والعمل علي ارتقاء الذات والهوية السمرء أمام الآخر الأبيض^(٤).

وأما من "الناحية السياسية" فقد أطلق مصطلح "رؤية الآخر" علي النظر لكل الأشخاص الذين لا ينتمون للدولة، سواء أكانوا مقيمين في الدولة نفسها، ويعيشون فيها، ولكنهم لا ينتمون لحضارة هذه الدولة، أو أجنب تربطهم بالدولة مصالح سياسية مشتركة. فعلي سبيل المثال يعتبر الآخر بالنسبة للفكر السياسي الغربي هو من لا ينتمي إلي الحضارة الغربية، لأن من ينتمي إلي دولة متقدمة في النواحي الحضارية المختلفة يشير إلي من ينتمي إلي الدول المتخلفة أو النامية بلفظ الآخر، والعكس^(٥).

وفي الختام، يمكن القول أن مصطلح "رؤية الآخر" يطلق علي النظر لكل شخص أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية محددة، ومن خلال هذا الآخر نحدد اختلافنا عنه، وهذا يعني أن علاقة الذات بالآخر هي علاقة تبادل للتأثير والتأثر، بغض النظر عن طبيعة هذا التبادل المشترك، سواء كان سلبياً أو إيجابياً. فهذه العلاقة ضرورة محتمة اقتضتها آلية التعايش البشري التي أفرزت هذه العلاقة.

الهوامش:

- (١) ابن منظور الأفريقي المصري: معجم لسان العرب، المجلد الرابع عشر، دارصادر للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣ م، "باب "الراء"، مادة "آخر""، ص ١٢-١٥.
- (٢) مصطفى حدية: مفهوم إدراك الآخر ومسألة الدور في علم النفس الاجتماعي، مجلة "المناظرة" المغربية، العدد الثالث، يونيو ١٩٩٠ م، ص ٥٢، ٥٤.
- (٣) محمود رجب: المرأة والفلسفة، حويلات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، الرسالة التاسعة، ١٩٨١ م، ص ٧، ١٤.
- (٤) باسم رزق مرزوق: الهوية الأفريقية في الفكر السياسي الأفريقي، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ٢٠١٥ م، ص ٢٦.
- (٥) مطيع الله بن دخیل الله بن سليمان الصرهيد: استراتيجية التعامل مع الآخر، مجلة دراسات في الشأن الإسلامي، الرياض، مايو ٢٠٠٧ م، ص ١٨٣.

أمريكا في كتابات الرحالة المصريين (رحلة محمد لبيب البتنوني نموذجاً) (*)

يعتبر أدب الرحلات من أهم المصادر التي يري من خلالها القارئ صورة الآخر ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وقد احتل أدب الرحلات مكانة كبيرة بين قراء العصور السابقة، ولكن تراجعت هذه المكانة في عصرنا الحالي وخاصة مع تقدم وسائل الاتصالات الحديثة التي جعلت القارئ يحصل علي الكثير من المعلومات عن أي بلد في العالم.

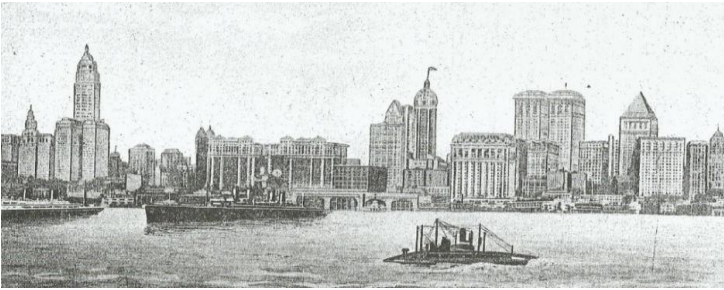
والرحلات المصرية إلي بلاد العالم في العصور السابقة كثيرة جداً سواء كانت إلي بلاد أوروبا أو آسيا أو إفريقيا، وأما عن الرحلات المصرية إلي أمريكا في العصر الحديث فإنها لم تحتل إلا مكانة ضئيلة جداً، ولم يقم بها إلا الدبلوماسيون فقط أو الأشخاص المهتمين مثل رحلة الأمير محمد علي بن الخديوي توفيق إلي أمريكا الشمالية عام ١٩١٢م بهدف الاطلاع علي طبيعة بلاد أمريكا وسكانها^(١).

وأما عن رحلة محمد لبيب البتنوني فتعتبر من أهم الرحلات المصرية إلي أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك بحكم خبرة البتنوني كرحالة متمكن استطاع تقديم وصفاً تحليلياً لطبيعة بلاد أمريكا وسكانها، والبتنوني كما وصفه خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام: "فاضل مصري، له اشتغال بالأدب والتاريخ. من كتبه رحلة إلي الأندلس، وتاريخ كلوت بك ترجمه عن

(*) نشر هذا الموضوع بمجلة الهلال، العدد (١٤٧٧)، دار الهلال، القاهرة، مارس ٢٠١٦م.

الفرنسية، والرحلة الحجازية، ورحلة الصيف إلى أوروبا، والرحلة إلى أميركا. نسبته إلى البتنون من بلاد المنوفية بمصر" (٢).

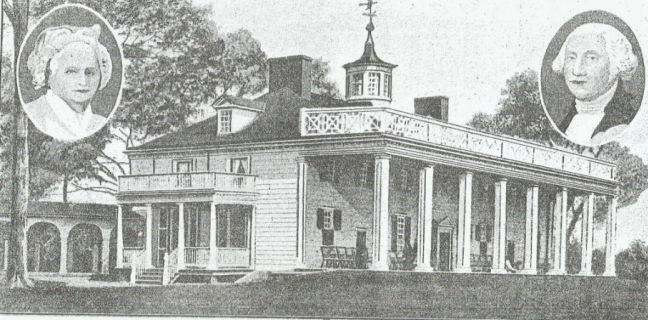
توجه محمد ليبب البتنوني إلى أميركا في ١٣ يونيو عام ١٩٢٧ م بهدف حضور مؤتمر التربة الزراعية الذي عقد في مدينة واشنطن آنذاك، وعقب انتهاء المؤتمر تجول البتنوني في بلاد أميركا واصفاً طبيعتها ومدنها وسكانها وأنظمتها، وكان شديد الحرص على تسجيل كل ملاحظاته وإرسالها إلى جريدة الأهرام في صورة مقالات لنشرها، ثم جمع كل هذه المقالات في كتاب تحت عنوان "الرحلة إلى أميركا"، وذكر سبب نشر رحلته في مقدمة كتابه قائلاً: "ولقد رأيت كما هي عادتي في رحلاتي أن أشرك بني قومي معي في مرثياتي ومشاهداتي.. وكنت أبعث إليهم برسالاتي التي كانت تنشر في جريدة الأهرام.. ولما كثرت علي طلب إخواني حفظهم الله بجمع هذه الرسائل لببت أمرهم وضممت إليها ما تيسر لي جمعه من صور تلك البلاد التي أن تسمي بحق ببلاد العجائب..." (٣).



مباني نيويورك من البحر عام ١٩٢٧ م

عندما وصل البتنوني إلى أراضي أمريكا أعجب بها أعجاباً شديداً، وخاصة مدينة نيويورك التي وصفها بأنها مدينة عظيمة بها مباني شامخة عالية الارتفاع، وفي وسط مينائها تمثالاً لسيدة ترفع يدها اليميني للسماء لتشير إلى القادمين بالدخول إلى المدينة في حرية تامة، كما وصف شوارع نيويورك وازدحامها بالسيارات (الأوتوموبيلات كما ذكرها) ووصف شكل المدينة بأنه مستطيل وتقع بين نهريْن (النهر الشمالي) من جهة الشرق و(نهر هدسون) من الغرب، وذكر أن تعداد سكانها يفوق تعداد سكان القطر المصري كله في أوائل القرن العشرين، ومن أهم الأشياء التي لفتت نظر البتنوني في نيويورك (المباني التجارية) المنظمة في أماكن مستقلة مثل مبني (وول ورث بلدنغ) والذي وصفه بالتفصيل سواء في شكله أو محتوياته^(٤).

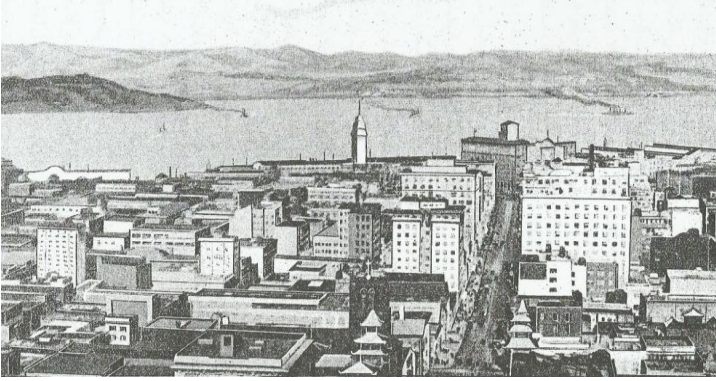
زار البتنوني مقر البورصة الأمريكية ووصفه بأنه مكان عظيم في وسطه مكان متسع علي شكل مربع يبلغ نحو ٥٠ متراً ويعمل بداخله أشخاص كثيرون وصفهم لكثرتهم بالنمل ويتحدثون بصوت عالي عن ارتفاع أو انخفاض الأسهم، وعلي حوائط المبني من الداخل لوحات كبيرة مقسمة إلي مربعات صغيرة، وبها علامات حمراء أو خضراء تتحرك باستمرار وبشكل أوتوماتيكي وعليها أسعار مختلفة، كما يضم المبني حوالي ٢٠ مكتباً للتلغراف، وأشار إلي تقسيم المبني بأنه مقسم إلي صالات وكل صالة مخصصة لبورصة معينة، مثل (بورصة القطن، وبورصة المحاصيل، وغيرهما)، وهو ما ذكره الأمير محمد علي توفيق بالتفصيل في رحلته لأمريكا الشمالية عام ١٩١٢ م^(٥).



منزل جورج واشنطن (١٧٣٢-١٧٩٩ م)
أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية

توجه محمد لبيب البتنوني بعد ذلك إلى مدينة واشنطن (واشنطن كما ذكرها) في ١١ يونيو ١٩٢٧ م، ووصف المدين التي مر بها مثل مدينة (فيلادلفيا) وذكر أنها مشهورة بتجارها الواسعة وبها الكثير من مغازل القطن، كما ذكر مدينة (بتسبورج) بأنها تسمي مدينة الحديد لأن بها أكبر مصانع الحديد في العالم كله، وعدد سكانها ٦٠٠ ألف شخص، وعندما وصف العاصمة مدينة (واشنطن) وصفها بأنها مدينة مليئة بالأعشاب الخضراء وأشجار الفاكهة، وتعداد سكانها نحو ٨٠٠ ألف شخص، وشوارعها واسعة ونظيفة وتسمي الشوارع الكبرى بالأحرف الهجائية والشوارع الصغرى التي تقاطعها بالأرقام، مثل (شارع ب مع شارع ١٥)، ومن أهم الأماكن التي وصفها البتنوني في واشنطن (البيت الأبيض) الخاص برئيس الولايات المتحدة، حيث وصفه بأنه "واقع علي دوران ميدان صغير يجمع بين بساطته وصغره وفخامته، وفي جانب من جوانبه جناح فيه مكتب الرئيس.. الذي يصل مرتبه إلي ١٥ ألف جنيه في السنة وخمسة آلاف بصفة مصاريف يقدم عنها لحكومته حساباً بالجهات التي صرفت فيها"^(٦).

وأما عن برلمان الولايات المتحدة (الكابيتول كما ذكره) فوصفه بأنه أضخم أبنية مدينة واشنطن، ويقام علي هضبة عالية تتصل منحدراتها ببستان في منظر رائع، وبه سلال من الرخام الفخم، وأعلي المبني قبة تناطح السحاب وعن يمين القبة وشمالها مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وبجانبيها مبني فخم به مكاتب خاصة لكل أعضاء المجلسين^(٧).



المباني في أمريكا عام ١٩٢٧ م

وأما عن الشعب الأمريكي فقد ذكر عنه البتنوني أنه خليط من أبناء دول مختلفة، وأنه من الأمم الحية والعملية، وأنه شعب مشهور بثروته وكرمه، ووصف الرجل الأمريكي بأنه شخص راقى في صفاته ومتميز في أخلاقه ويقدر قيمة الزمن ولا يعرف للحياة معنى غير العمل، وأما عن المرأة الأمريكية فلها الحرية المطلقة الغير محدودة "فهي لا تري نفسها أقل من الرجل في حقوقه المدنية، وقد تشبه به في كلامه، وفي هندامها، حتي إذا تكلمت من وراء ستار ظننتها في الغالب من هذا الجنس الذي خلق للأعمال الشاقة. وكثيراً ما تراها هنا تعمل مع الرجل في المصانع والمعامل، وقد تراها أكثر منه عملاً في المحال التجارية ومكاتب الإدارات المختلفة"، وأشار إلي أن هذه الصفات التي تميز

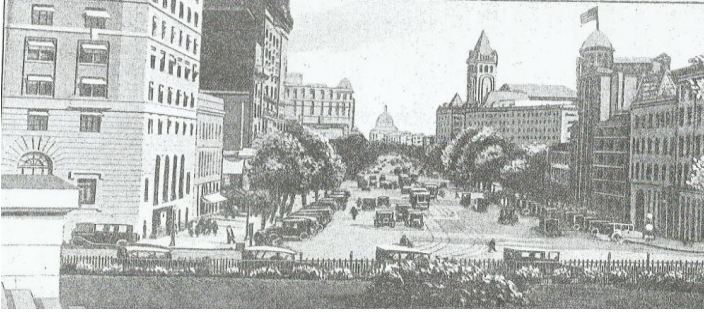
الشعب الأمريكي ترجع إلي عامل التربية النفسية القائم علي مبدأ(ساعد نفسك بنفسك) فلا يعتمد الإنسان علي غيره في أي عمل من أعمال الحياة، ويدل بذلك قائلاً: "قف لحظة واحدة في أية محطة من محطات السكة الحديدية تري الرجل والمرأة والشاب والشابة بل والطفل- مهما كانت درجاتهم في الثروة والجاه - تري كلامهم حاملاً حقيبة ملابسه في يده"، ويقارن البتنوني بين استغلال الوقت في أمريكا وبين إهماله في مصر وينسب ذلك إلي نقص التربية العملية في مصر^(٨).



الطرق في أمريكا عام ١٩٢٧ م

وبالنسبة للحياة الثقافية في أمريكا فقد أسهب البتنوني في وصفها، وذكر أنها تقوم علي أساس كثرة المدارس والكليات وانتشار الجامعات، فلا يخلو أي مكان من مدرسة أو كلية أو جامعة، وأعطى مثلاً علي إحدى دور التعليم ووصفها بالتفصيل قائلاً: "أذكر لك جامعة هارفارد التي هي أقدم جامعة بالولايات المتحدة، والتي توجد في كامبردج إحدى مدن ولاية(ساشوسيت) والتي سميت باسم ذلك الرجل الكريم(جون هارفارد) الذي شيدها في سنة ١٦٣٨ م. علي مثل جامعة أكسفورد وكامبردج في إنجلترا، وهذه الجامعة توجد

في متسع عظيم من الأرض، قامت علي أبعاد مختلفة في بنايات كثيرة تفصلها عن بعضها الأشجار الزاهرة، والأزهار العطرة، وكل بناء منها لنوع خاص من العلوم والفنون، أو المتاحف المختلفة، والمكتبات القيمة، ومن هذه البنايات ما هو لسكن الطلبة... ومن هذه البنايات ناد كبير يقضي فيه الطلبة أوقات سمرهم، وقد يتخلل ذلك شيء من أغانيهم وموسيقاهم، مما يخفف عنهم ما عانوه في عملهم اليومي من تعب ونصب. وللجامعة كنيسة بديعة لتأدية واجبات الطلبة الدينية. ومن ضمن أبنية الجامعة بناء خاص لتحرير جريدة الجامعة تجد به جميع أنواع الجرائد والمجلات المختلفة..."^(٩).



شارع بنسلفانيا بواشنطن

وفي النهاية، يمكن القول أن البتنوني وصف جميع الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي اعتمدت عليها أمريكا في إدارة شؤونها، ولم يترك أي مجال إلا بعد وصفه وشرحه شرحاً دقيقاً لإفادة القارئ المصري الذي كان يجهل - في ذلك الوقت - كل هذه الجوانب الخاصة ببلاد أمريكا، والتي لم يتوفر عنها سوى معلومات ضئيلة في الصحف والكتب المنشورة في تلك الفترة، وعلي الرغم من أنه لم يتعرض في كتابه لبلاد أمريكا الجنوبية إلا أنه أعطي صورة تفصيلية واضحة عن أوضاع الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين.

الهوامش:

(١) الأمير محمد علي توفيق: رحلة الأمير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي الخديوي إلي الجهة

الشمالية لأمریکا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٣ م، ص ٨.

(٢) خير الدين الزركلي: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب

والمستعربين والمستشرقين)، الجزء السابع، دارالعلم للملایین، بیروت، ٢٠٠٢ م، ص ١٥.

(٣) محمد لبيب البتنوني: الرحلة إلي أمريكا، دارالكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠ م،

ص ٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١-١٦.

(٥) الأمير محمد علي توفيق: المصدر السابق، ص ٤٩.

(٦) البتنوني: المصدر السابق، ص ٤٨-٥٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٨) نفسه، ص ٦٩-٨٨.

(٩) نفسه، ص ٩١-١٠٤.

الآثار الثقافية المسيحية في مصر العثمانية (*)

ساهم الأقباط في مصر العثمانية (١٥١٧-١٧٩٨ م) في العديد من المجالات سواء كانت سياسية أو إدارية أو اجتماعية أو ثقافية، لذا اشتهرت بعض الشخصيات القبطية وبرز أسمائها في الحياة المصرية العامة آنذاك، ومن أشهر هذه الشخصيات (المعلم رزق) الذي كان يعمل كاتباً للجمارك ثم رقاہ الوالي علي بك الكبير (١٧٢٧-١٧٧٣ م) ناظراً علي دارالدرب وسك العملة عقب توليه حكم مصر عام ١٧٦٩ م، وذكره عبد الرحمن الجبرتي في كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار بقوله: "كاتبه القبطي المعلم رزق بلغ في أيامه من العظمة ما لم يبلغه قبطي"^(١)، كما ظهر (المعلم إبراهيم الجوهري) رئيس الكتبة الأقباط في مصر في عهد علي بك الكبير، وذكره أيضاً الجبرتي في كتابه "عجائب" قائلاً: "ومات الذمي المعلم إبراهيم الجوهري، رئيس الكتبة الأقباط بمصر، وأدرك في هذه الدولة من العظمة ونفاذ الكلمة، وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة بمصر ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم، وأول ظهوره من أيام المعلم رزق كاتب علي بيك الكبير.. وعمرت في أيامه الكنائس وديور النصرى وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان، ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلل"^(٢).

(*) نشر هذا الموضوع بجريدة الأهرام الجديد الكندية، العدد (٢٤٠)، مدينة تورونتو (Toronto)، كندا، ١٠ مايو ٢٠١٧ م. ونشر أيضاً مُلخصه بجريدة أبو الهول المصرية تحت عنوان "التراث القبطي المصري في العصر العثماني"، عدد يوليو ٢٠١٧ م.

أما عن الدور الثقافي للأقباط في مصر العثمانية فقد تركوا الكثير من الآثار الثقافية والمعمارية التي تميزها عن أي عصر آخر. فمن (الناحية الثقافية) شاركوا في نسخ الكتب المسيحية القبطية علي يد متخصصين عرفوا باسم (أراخنة الأقباط)، كما قاموا بترجمة بعض المخطوطات الأثيوبية والسريانية، وخاصة في القرن الثامن عشر الميلادي الذي شهد تطوراً كبيراً في الحياة الثقافية المصرية آنذاك^(٣)، ومن (الناحية المعمارية) أنشأ الأقباط في مصر الكثير من الأديرة والكنائس وزخرفوها برسومات تصويرية، الأمر الذي لاحظته علماء الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١ م) وسجلوه في كتاب وصف مصر بقولهم: "وللأقباط منشآت دينية باللغة الروعة كما نري في كثير من الكنائس والأديرة، كما أنشأوا في مصر العليا علي وجه الخصوص كنائس رائعة.." ^(٤).

وفي هذا الإطار يقدم لنا الرحالة الألماني جوفني ميكيله فنسليب (G.M.Vansleb) -الذي زار مصر عام ١٦٧١ م- صورة واضحة عن حياة الأقباط في مصر في العصر العثماني، وعن كنائسهم وكيفية زخرفتها بالعديد من الرسومات التصويرية قائلاً "والأقباط لا يحتفظون بتمثيل في كنائسهم، بل برسومات فقط.. ويؤمنون إيماناً شديداً أن الله يمنح نعماً غزيرة بواسطة هذه الصور؛ ولذلك في ضيقاتهم يلجأون إليها. وهناك في مصر القديمة في دير القديس جرجس صورة لهذا القديس، وقد رأيتها بنفسي.. وهناك إكرام خاص لصورة المقدسة التي يشعلون أمامها باستمرار عدداً كبيراً من القناديل، ويزينونها بالأزهار..." ^(٥).



كما تحدث "فنسليب" عن رسومات استخدمها الأقباط في كنائسهم ليس كنوع من الزخرفة والتزيين فحسب، بل لتسجيل حياة الكثير من الأشخاص الدينية مثل القديسين ورجال الدين، ومع تطور الفن الزخرفي القبطي تطور معه ما عرف باسم (الأيقونات) التي تبلور دورها في البداية لتعليم العامة والبسطاء من الأقباط بطريقة عملية تتناسب مع تفكيرهم وعقلياتهم، وهذا ما يفسر الدور التعليمي الذي لعبته الأيقونات في الحياة الكنسية، وفي تبسيط الكثير من الأمور الدينية عند الأقباط، علي أن هذه الأيقونات قد استخدمت بعض الألوان البسيطة الجامعة للتعبير عن مضمون الصورة سواء لتصوير أحداث العهد القديم أو أحداث العهد الحديث، وذلك مع تفسير الكثير من مفاهيم وتعاليم الإنجيل، ولكن علي الرغم من تأثر مضمون هذه الأيقونات ببعض المؤثرات الخارجية - مثل ما نقله المصور والفنان يوحنا الأرمني^(٦) إلي الفن القبطي آنذاك - إلا أنها احتفظت بالكثير من الملامح والمظاهر الثقافية للأقباط في مصر في ذلك الوقت^(٧).

وفي النهاية يمكننا القول أن التراث الثقافي والفني للأقباط في مصر العثمانية قد كان له معاملته الخاصة، وآثاره الواضحة التي اختلفت اختلافاً كثيراً عن أي فترة أخرى، كما أن هذا التراث قد أحتفظ بملامحه الخاصة لمدة طويلة من الزمان، ولم يتأثر بأية مؤثرات غربية إلا مع النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي.

الهوامش:

(١) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الأول، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٥٩٨، جاك تاجر: أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ص ٢١٥.

(٢) توفيق اسكاروس: نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر، الجزء الأول، مطبعة التوفيق، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٠٦. عبد الرحمن الجبرتي: المصدر السابق، الجزء الثاني، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣٩٥.

(٣) نللي حنا: ثقافة الطبقة الوسطى في مصر العثمانية (١٦م - ١٨م)، ترجمة: رءوف عباس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤م، ص ١٣٤.

(٤) ج. دي شابرول: دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين، (ضمن موسوعة وصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية)، ترجمة: زهير الشايب، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ٢٥.

(٥) جوفي ميكيله فنسليبيو: تقرير الحالة الحاضرة لمصر ١٦٧١م، ترجمة: وديع عوض، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٤٢.

(٦) "يوحنا الأرمني أو (حنا الأرمني) فنان عاش في مصر في القرن الثامن عشر، ينتهي يوحنا الأرمني إلى جالية أرمنية استقرت في القاهرة منذ القرن العاشر الميلادي، وساهمت في نواح متعددة من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتفاعلت واندمجت مع المجتمع المصري (وبخاصة القبط) إلى درجة أن يتبوأ أحد أعضائها - (يوحنا الأرمني) - المكانة الأولى بين رسامي الأيقونات القبطية". مجدي جرجس: يوحنا الأرمني وأيقوناته القبطية فنان في القاهرة العثمانية، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٨م، ص ١٧.

(٧) يوساب السرياني: الفن القبطي ودوره الرائد بين فنون العالم المسيحي، الجزء الأول، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٣٩، ٤٠.

قصر فرساي

تحفة معمارية فرنسية شاهدة علي التاريخ(*)

يجمع كل من زار باريس علي أنها مدينة السحر والجمال، ولا يرتبط هذا الإعجاب بالطبيعة وحدها، بل يشمل اللمسات الإنسانية التي تراكمت علي مدي العصور والمراحل التاريخية التي مرت بها الحضارة الفرنسية، وعلي رأس ذلك الفنون المعمارية التي استعرضت فيها الشخصية الفرنسية كل مواهبها لكي تجعلها تحفاً فريدة من نوعها، مثل القصور المشيدة في قلب مدينة باريس، والتي يقف بعضها شاهداً علي حوادث الزمان إلي الآن. ومن أشهر قصور باريس التي وقفت شاهدة علي حوادث تاريخ فرنسا في عصرها الحديث (قصر فرساي) الذي يقع علي بعد ٢٥ كم تقريباً جنوب غرب باريس، وهو من أجمل وأفخم القصور الفرنسية التي بنيت في القرن السابع عشر الميلادي في عهد الملك لويس الرابع عشر (Louis XIV)^(١)، وقد استغرق بنائه ما يقرب من عشرين سنة تقريباً في الفترة الممتدة من عام ١٦٦١ م وحتى عام ١٦٨١ م^(٢).

(*) نشر هذا الموضوع بمجلة الراصد الإماراتية، العدد (٢٤٥)، دائرة الثقافة "حكومة الشارقة"، الإمارات العربية المتحدة، يناير ٢٠١٨ م.

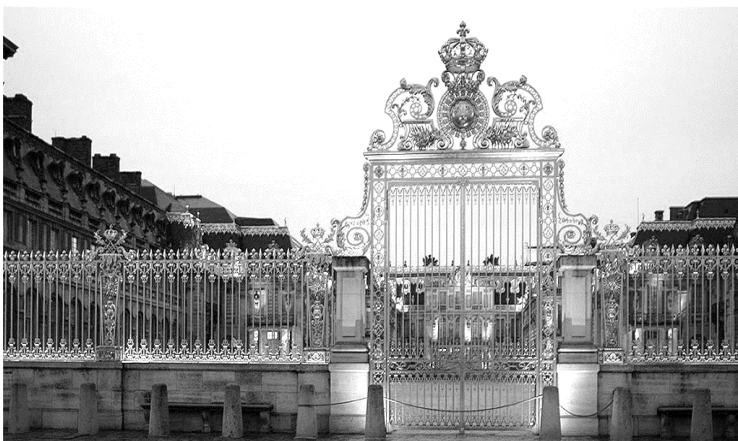
عمارة وتاريخ

من الناحية المعمارية يعتبر هذا القصر رمزاً لروعة الفن الفرنسي وإبداعه، حيث يبلغ حجمه حوالي ٤٦٠,٠٠٠ متر مكعب، أي حوالي نصف ميل^(٣)، وهذا ما جعل الكثير من زواره يصفونه بأنه شبه مدينة مستقلة بذاتها، كما أنه محاط بحديقة واسعة تكشف عن الذوق الفرنسي في تنسيق الحدائق، وحول القصر والحديقة غابة شاسعة جعلته يجمع بين الإقامة والتنزه في آن واحد^(٤).

وأما عن أهم الأشياء التي تميز القصر من الداخل فهناك (غرفة نوم الملك) التي تمتاز بموقعها في الجهة الشرقية لكي يرى الملك الشمس في بداية شروقها، وأهم ما يلفت الأنظار في هذه الغرفة القماش المطرز والأثاث الفخم^(٥)، كما يُميز القصر أيضاً القاعة الكبرى التي تُعرف باسم (قاعة المرايا) والتي تمتاز بمساحتها الكبيرة، حيث يبلغ طولها ٧٣ متراً، وعرضها ١١ متراً، وارتفاعها ١٣ متراً. وتحتوي هذه القاعة على ١٧ مرآة في جانب واحد، ومقابل كل مرآة في الجهة الأخرى شباك كبير يُطل على حدائق القصر، وتحتوي القاعة أيضاً على عدد كبير من الثريات النفيسة والأثاث الأنيق^(٦).



شهد قصر فرساي العديد من الأحداث المهمة، مثل الثورة الفرنسية الأولى التي اشتعلت ضد الملك لويس السادس عشر في عام ١٧٨٩م^(٧)، وحوادث حرب عام ١٨٧٠م التي اشتعلت بين الفرنسيين والألمان، والتي انتهت أحداثها بهزيمة فرنسا وتوقيع معاهدة بين الطرفين في قاعة المرايا - سالفة الذكر- في ١٨ يناير سنة ١٨٧١م، وكنوع من إذلال فرنسا فقد أعلن البروسيون وباقي الألمان قيام الوحدة الألمانية وولادة الرايخ الثاني الألماني بزعامة فيلهلم الأول Wilhelm I (١٧٩٧-١٨٨٨م) من هذا القصر الذي كان يعتبر رمزاً لقوة وجبروت فرنسا في ذلك الوقت^(٨)، ومن قاعة المرايا أيضاً وُقعت معاهدة فرساي في ٢٨ يونيو ١٩١٩م بعد نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) بين الدول العظمى المتحاربة، وهذا الأمر جعل اسم القاعة يتردد في كل الصحف العالمية، واعتبر القصر وقاعاته من أشهر الأماكن في العالم آنذاك^(٩).



القصر في عيون الرحالة العرب

كل ما سبق جعل القصر محل إعجاب الكثير من الرحالة والكتّاب العرب الذين زاروا فرنسا في العصر الحديث. فمثلاً وصفه الكاتب الصحفي اللبناني أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧ م) في كتابه "كشف المُخْبأ عن فنون أوروبا" قائلاً: "يشتمل علي تصاوير بديعة لا نظير لها.. وفيه ملهى كان إذا أمر الملك بإجراء التمثيل فيه ينور بعشرة آلاف شمعة، ويصرف عليه في تلك الليلة مائة ألف فرنك. وفي القصر ديوان فسيح كان يجتمع فيه رجال دولته.. والحديقة ناضرة زاهية والعيون غزيرة، ووسع الغَيْضَة الكبرى عشرون فرسخاً، وقد انفق علي حوض فيها مليون ونصف، فأما جملة ما أنفق في القصر وفرشه، وفي الغَيْضَة، فقد اختلفت الأقوال والذي صح أنه بلغ نحو أربعين مليون ليرة إنكليزية"^(١٠).



حديقة القصر

كما وصفه الأديب والكاتب اللبناني جُرجي زيدان في رحلته التي دونها في كتاب (رحلة إلى أوروبا سنة ١٩١٢ م) بقوله: "القصر وحده بما يكتنفه من الحوادث التاريخية يعد من أهم التحف ولبنائه تاريخ طويل. وهو كالبلد الكبير بما فيه من القاعات والغرف والدهاليز والأروقة والمراسح والمجالس. يسع نحو عشرة آلاف نفس. طول واجهته الكبرى ٥٨٠ متراً فيها ٣٧٥ نافذة. تم بناء القصر في القرن السابع عشر بما فيه من الرياش الفاخر، والتحف التاريخية أو الصناعية. وأنشئوا بين يديه الحدائق التي تأخذ بالأبصار بما فيها من البرك والأشجار والغياض والبساتين" (١١).

وعلق أيضاً الرحالة المغربي محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي علي هذا القصر في رحلته التي دونها تحت عنوان (الرحلة الأوروبية سنة ١٩١٩ م) بقوله: "وفي هذا القصر من العجائب ما يستغرق وصفه أوراقاً يملها السامع والمُطالع. وحاصل القول أنه غاية في الفخامة والزخرفة والنقش والتصوير والفنون الجميلة، فكأنه مدرسة لهذه الفنون. وفي القصر كنيسة من أعجب الكنائس، كانت للملك خاصة يُصلي بها يوم الأحد وفي الأعياد، لازالت علي هيأتها بكراسيها وجميع ما كان فيها" (١٢).



إحدى غرف القصر

كما تحدث عنه عميد الأدب العربي طه حسين في كتابه (رحلة الربيع والصيف)، وذكره ببعض العبارات التفخيمية التي قال فيها "تستطيع أن تزور قصر فرساي، فلا شك في أن لذتك لا تعدلها لذة إذا كنت تعرف تاريخ فرنسا السياسي والفني والأدبي حين تزور هذا القصر، وترى ما يمثل من هذا كله.. ذلك لأن هذا القصر وما فيه يلفتانك بهذه المظاهر الجميلة التي لا يستطيع الحس أن يمر بها دون أن يقف عندها، ويمنحها حظاً قليلاً أو كثيراً من الإعجاب. فإذا سمعت هذه الأحاديث التي يُلقمها عليك الأدلاء في غير عناية ولا تحقيق، وكنت تفهم الفرنسية بعض الفهم، فستحي في نفسك هذه الأحاديث عواطف وضروباً من الشعور لها في نفسك أثر بعيد. في هذه الغرفة كان لويس الرابع عشر يفعل كذا وكذا، وفي هذه الغرفة كان لويس الخامس عشر يلقى فلاناً وفلاناً.. وفي هذه الغرفة اتخذ هذا الملك أذاك من القرارات ما كان له في حياة الفرنسيين ثم في الحياة الأوروبية ثم في الحياة

العالمية أبعد الآثار وأقواها. ولم أصف لك ولن أستطيع أن أصف لك مظاهر
الفخامة والترف والأبهة في العصور الفرنسية الحديثة، فقد اجتمع من هذه
المظاهر المختلفة في هذا القصر ما وضعت فيه الكتب الطوال والأسفار التي لا
تحصى" (١٣).



قاعة المرايا

ويكفيها في النهاية أن نستشهد بالوصف الجامع الشامل الذي سجله المؤرخ العُماني سعيد بن علي المُغيري عن رحلته الأوروبية التي رافق فيها سلطان زنجبار "السلطان خليفة بن حارب" في عام ١٩٣٧ م، والذي خص فيه القصر قائلاً: "مررنا بين أعمدة من رخام علي مختلف الألوان، وطلعنا من بعض درجه التي تصعد إلي أعلي القصر، فاندesh قلبي من حسن هيئة البناء والتفاصيل، وهيئة المكان الذي يجلس فيه الملك وخواصه، وغير ذلك من الرسوم العجيبة المطلية بالرنج الذهبي.. ومررنا في دهليز مبني بالرخام الأحمر والأبيض والأسود، وبنيان هذا الدهليز ونوافذه من البلور الخالص مطلي بالرنج الذهبي، وسقوف هذا الدهليز من الخشب الغالي الزاهي، كأنه صنع من ذهب.. والحقيقة أن هذا القصر أعظم قصور العالم فيما يقال عن الأخبار المتواترة، ولا يقدر أن يصف ما فيه من الزينة وعظم البناء واصف" (١٤).

الهوامش:

- (١) عبد الوهاب العمراني: مشاهدات وانطباعات من الشرق والغرب "رؤية يمنية في أدب الرحلات"، دار الخليج، الأردن، ٢٠١٧م، ص ٢٧٦.
- (٢) يحيى محمد بنهان: معجم مصطلحات التاريخ، داريافا، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ٢١٢.
- (3) Jean de Senarclens: Genève guide historique ,Tricorne ,Genève
1995 , p.42
- (٤) عبد الوهاب العمراني: المرجع السابق، ص ٢٧٦.
- (٥) نفسه، ص ٢٧٦.
- (٦) صلاح عيسى: مأساة مدام فهي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١م. عبد الوهاب العمراني: المرجع السابق، ص ٢٧٦.
- (٧) الحسيني الحسيني معدي: موسوعة أشهر الاغتيالات في العالم، دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٤٢١.
- (٨) أنيس محمد منصور: أرواح وأشباح، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٩.
- عادل سعيد بشتاوي: تاريخ الظلم العربي في عصر الأنظمة الوطنية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٤٥.
- (٩) عصام عبد الفتاح: أطلس الحربين العالميتين "الأرض والحرب والسلام"، شركة الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ٦٤.
- (١٠) أحمد فارس الشدياق: كشف المخبا عن فنون أوروبا، دار الكتاب المصري، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٣٢٢.
- (١١) جُرجي زيدان: رحلة إلي أوروبا ١٩١٢م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٧٦، ٧٧.
- (١٢) محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي: الرحلة الأوروبية ١٩١٩م، تحقيق: سعيد الفاضلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٧٢.

(١٣) طه حسين: رحلة الربيع والصيف، دارالعلم للملإين، بيروت، ١٩٥٧ م. ص ١٥٨، ١٥٧.

(١٤) سعيد بن علي المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا (١٩٣٧-١٩٦٠ م)، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ١٩٨٥، ص ٣٣، ٣٢.

القسم الثاني

قراءات في التاريخ

محمد بك لاطوغي

أول وزير دفاع في تاريخ مصر الحديث(*)

كثيرة هي الشخصيات التي لمع اسمها في تاريخ مصر في عصرها الحديث. فمن هذه الشخصيات من برز اسمه في المجال السياسي، أو في المجال العسكري، أو في المجال الاقتصادي، أو في المجال الثقافي والفكري، وكان لهذه الشخصيات انجازات كثيرة أدت إلى ارتقاء أسمائها لمرتبة صناعة التاريخ المصري، والشخصية التي سنتحدث عنها في السطور التالية هي شخصية "محمد بك لاطوغي" تلك الشخصية التي كان لها دوراً كبيراً في التاريخ السياسي والعسكري في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، بل تعددت مهامها حتى ارتقت إلى مرتبة تعادل منصب رئيس الوزراء، وعلي الرغم من الدور الكبير الذي لعبته تلك الشخصية في تاريخ مصر الحديث، إلا أن أغلب أبناء الوطن في عصرنا الحالي لا يعرف عنها الكثير سوى أنها مجرد اسم يُطلق علي ميدان من ميادين القاهرة المعاصرة ألا وهو "ميدان لاطوغي"، لذا سنحاول في هذه الكلمات تقديم عرض موجز عن شخصية لاطوغي وأعماله في مصر.

(كتخدا محمد بك لاطوغي) اسمه محمد لاطو، و"كتخدا" تعني النائب المؤتمن^(١). جاء هذا الرجل إلى مصر في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي برفقة محمد علي باشا مع القوات العثمانية التي جاءت لطرد الاحتلال الفرنسي من

(*) نشر هذا الموضوع بمجلة ديوان الأهرام الوثائقية، العدد (٣٠)، مؤسسة الأهرام،

أبريل ٢٠١٧م.

مصر عام ١٨٠١ م. وظل هذا الرجل بمصر حتى بعد خروج الاحتلال شاهداً علي الفترة الانتقالية التي مر بها الشعب المصري في الفترة الممتدة من (١٨٠١-١٨٠٥ م)^(٢).

وقد أشارت المصادر المعاصرة له عن الدور الذي لعبه في المجال السياسي والعسكري المصري حتى صار كالذراع اليميني لدي محمد علي باشا، ويمكننا الاستدلال علي ذلك مما ذكره المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي في كتابه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) في حوادث سنة (١٢٢١هـ/١٨٠٦م) عن مكانة هذا الرجل قبل تولية محمد علي باشا حكم مصر ١٨٠٥ م قائلاً: "محمد أغا لاهظ الذي كان سلحدار محمد باشا خسرو"، والسلحدار هنا أي (المستول عن السلاح) وهذا يعني أنه تمتع بمكانة عالية في فترة حكم هذا الوالي الممتدة من "يناير ١٨٠٢ إلي أبريل ١٨٠٣ م"^(٣)، وبعد تولية محمد علي باشا حكم مصر قال عنه الجبرتي في "عجائب" ضمن حوادث سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩ م بأنه كتخدا الباشا محمد علي (أي نائبه وقائم مقامه)^(٤).

تولي محمد بك لاهظ أوغلي العديد من المناصب العليا في عهد محمد علي باشا، حيث أُسند إليه العديد من المهام الإدارية مثل الفصل في الخصومات وإصدار الأحكام الكلية والجزئية ومباشرة الأحوال حتى صار يتحكم في كل المجالات الإدارية بما يعادل منصب (رئيس الوزراء)، ومن صفاته أنه كان إدارياً محنكاً وشديد العناية بمعرفة كل صغيرة وكبيرة في مصر لدرجة أنه أقام نظاماً دقيقاً للتجسس لمعرفة الأشخاص الخارجين على القانون حتى تمكن من السيطرة

على كل شىء في البلاد، كما كان له الفضل في القضاء علي كل الحركات التي حاولت إثارة الفتن والعصيان ضد الباشا^(٥).



صورة لتمثال لاط أوغلي من كتاب "تقويم النيل" لأمين سامي

ظل "لاظ أوغلي" في منصب الكتخدائية حتى عزله مجد علي باشا من هذا المنصب عام ١٨١٩م، وفي عام ١٨٢٠م أرسله الباشا إلى الصعيد وبلاد النوبة على رأس جيش للتحضير لغزو بلاد السودان وجلب بعض العبيد من هناك

بهدف تجنيدهم في الجيش المصري^(٦)، وعندما أسس محمد علي نظارة الجهادية (أي وزارة الحرب) عام ١٢٣٧هـ/١٨٢١م أسند مهمة رئاستها إلي لاطوغي، وأصبح يُطلق عليه ناظر النظام العسكري المصري، وهو بذلك يكون أول من تولى وزارة الدفاع في تاريخ مصر الحديث، كما أنه تولى بعض المهام العسكرية الأخرى التي أسندها إليه الباشا وعلى رأسها إدارة المدرسة الحربية التي أنشئت بأسوان، والتي كان هدفها تكوين النواة الأولى للجيش المصري في ذلك الوقت، وكان يعاونه في هذا الأمر المسيو جوزيف سيف (Joseph Seve)، الذي عُرف باسم (سليمان باشا الفرنسي)، علي أن يتولى محمد لاطوغي نظارة المدرسة، ويتولى المسيو سيف مهمة تدريس العلوم العسكرية بها^(٧).



سليمان باشا الفرنسي

توفي محمد بك لاطوغي في ٢٢ رمضان سنة ١٢٤٢هـ/ ١٩ أبريل ١٨٢٧م، ودفن في القاهرة بمنطقة قصر العيني، وعلي الرغم من كل المناصب التي تولاهها إلا أنه لم يترك أي أثر له يُخلد أعماله التي قام بها، حتى ولو كان ذلك صورة شخصية، وهذا ما شكل مشكلة كبيرة عندما قررت الحكومة المصرية - في عهد

الخديوي إسماعيل "١٨٦٣ - ١٨٧٩ م" - صنع تماثيل لكبار الشخصيات التي برز أسماها في عهد الباشا (محمد علي) أمثال سليمان باشا الفرنساوي، وإبراهيم باشا، وبوغوص بك، وأرتين بك وغيرهم، حيث وجدت للجميع صوراً شائعة في أوروبا إلا محمد بك لآظ أوغلي، فاضطرت الحكومة إلى عمل تمثال لشخصية رجل شبيه بمحمد بك لآظ أوغلي كان يعمل (سقا) في منطقة خان الخليلي، وهو ما ذكره أمين سامي صراحة في كتابه (تقويم النيل) حيث ذكر أنه تم "تفصيل بدلة تناسب عهد لآظ أوغلي واستحضروا سيفاً بعد استكمال الملابس والعمامة وكل ما يلزم وأخذت فتوغرافية هذا السقا واعتبرت فتوغرافية لآظ أوغلي فالذي تراه في ميدان المالية منصوباً الآن هو تمثال السقا الذي يشبه لآظ أوغلي" (٨).

وفي النهاية يمكننا القول إن هذه الشخصية كان لها دور مرموق في الحياة الإدارية المصرية بشكل عام في عهد محمد علي باشا، وتمتعت بمكانة كبيرة في هذا العهد حتى وصلت إلى مكانة لم يصل إليها أقرانها آنذاك، ويكفي ما ذكره خليل بن أحمد الرجي في كتابه (تاريخ الوزير محمد علي باشا) عن هذه الشخصية قائلاً "عظيم أتباعه (أي محمد علي باشا) من لا ينفك عن أغراضه وإتباع أوضاعه المستديم علي حبه العاكف علي وده وقربه محمد بيك كتخداي حضرة أفندينا سابقاً دام علاه" (٩).

الهوامش:

(١) عبد الوهاب بكر: تاريخ مصر العسكري من الفتح العثماني إلى الحملة الفرنسية ١٥١٧-١٧٩٨م، مجلة مصر الحديثة، العدد(٨)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢١٠.

(٢) عصام عبد الفتاح: أيام محمد علي "عبقريّة الإدارة وصناعة التاريخ"، الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص ١٥١.

(٣) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الرابع، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦٤.

(٥) جريدة الأهرام، مقال بعنوان: محمد علي (أعلام عصره "المصريون والأتراك والأجانب")، عدد نوفمبر ١٩٤٩م، ص ١٤. محمد فؤاد شكري(وآخرون): بناء دولة مصر محمد علي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٩٨.

(٦) محمد فؤاد شكري(وآخرون): المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٧) خليل بن أحمد الرجي: تاريخ الوزير محمد علي باشا، تحقيق دانيال كريسييليوس(وآخرون)، دارالافاق العربية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٢٣٥. أمين سامي: تقويم النيل، ج ٢، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٢م، ص ٢٩٦، ٢٩٣. محمد فؤاد شكري(وآخرون): المرجع السابق، ص ١٥١. عصام عبد الفتاح: المرجع السابق، ص ١٥١.

(٨) أمين سامي: المرجع السابق، ص ٣٢٧.

(٩) خليل بن أحمد الرجي: المصدر السابق، ص ٢٣٥.

الوعي الاجتماعي ومواجهة المحتل "نظرة في التاريخ المصري الحديث" (*)

يعتبر الوعي الاجتماعي من أهم العوامل التي تعمل علي إيقاظ الجماهير من صمتها لمواجهة قضية ما، أو لمحاولة إصلاح أو تغيير نظام اجتماعي فشل في تحقيق الغايات الأساسية للجماهير، ولكن لا يتحقق الوعي في أي أمة إلا بعد مرورها بعدة خطوات اجتماعية أساسية، (أول هذه الخطوات) إدراك الذات، أو إدراك الإنسان لهويته، فلا يتم تحقيق الوعي الاجتماعي قبل أن يدرك الإنسان شخصه وذاته وغاياته، وذلك عن طريق تحقيق اليقظة العقلية التي يدرك فيها الإنسان نفسه وعلاقاته بما حوله من أشخاص في المجتمع الكبير، وإذا تحققت هذه اليقظة العقلية تحدث الاستجابة للمؤثرات البيئية المحيطة ويبدأ الأفراد في المجتمع بتنمية وعيهم بمناقشة القضايا القائمة، فإذا كانت هذه القضايا (موضع سلب) تبدأ الجماهير في الخروج عن صمتها لتغيير الوضع القائم واستبدال ذلك بنظام جديد يتناسب مع أهداف الأفراد في المجتمع^(١).

أما عن (الخطوة الثانية) التي يجب أن تتحقق لتكوين الوعي الاجتماعي بين الأفراد هي وجود المحرك الرئيسي الذي يدفع الإنسان لزيادة وعيه. فمثلاً عندما يناقش الفرد قضية معينة يفكر أولاً في النتائج الإيجابية التي من الممكن أن تعود عليه وعلي باقي أفراد مجتمعه، ثم يأتي في المرتبة الثانية التفكير في

(*) نشر هذا الموضوع بمجلة الثقافة الجديدة، العدد (٣٠٢)، الهيئة العامة لقصور

الثقافة، القاهرة، نوفمبر ٢٠١٥.

النتائج السلبية التي من الممكن أن تحدث بعد تحقيق الغاية، ويهدف ذلك في النهاية إلى وضع الحلول القوية التي تقوم ببناء المجتمع ولا تعمل علي هدمه، ومن جانب آخر لابد من تحقيق البُعد العلمي للوعي في مناقشة القضية السائدة في المجتمع، وإلا لن تتمكن الجماهير من تحقيق الغاية الأساسية، أو من الممكن أن تحدث أشياء غير مرغوب فيها مثل حدوث فوضي تؤدي في النهاية إلي هدم المجتمع^(٢).

أما عن (الخطوة الثالثة) فتتمثل في وضع التصور البديل للواقع الذي يعيشه المجتمع، أي معالجة القضية بوضع حلول اجتماعية لتغيير النظام القائم، ولتحقيق ذلك لابد من مشاركة جماعية من كافة أبناء المجتمع بهدف حل المشكلة القائمة، والعمل علي نشر الوعي بين أفراد الشعب ودفعهم إلي المناقشات التي تؤدي في النهاية إلي تحقيق غاية الجماهير^(٣).

أما عن (مظاهر الوعي الاجتماعي) فإنها تتحدد علي أساس البنية الاجتماعية للمجتمع، ومدي تقبل الأفراد لمناقشة القضايا المهمة، والخروج عن الحياة التقليدية السائدة في المجتمعات التي تعاني من قلة الوعي الاجتماعي، ولكن يتوقف ذلك علي عدة أشياء مهمة منها المرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع، ووضع النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة وقت حدوث النفور الشعبي والتي تؤدي في النهاية إلي خروج الجماهير عن صمتهم^(٤).

وبعد مناقشة أسس الوعي الاجتماعي ومظاهره، ومدي تأثيره علي الحركات الثورية الجماهيرية، يأتي المحور الثاني من المناقشة، وذلك من خلال الاستعانة ببعض الأمثلة التاريخية التي لعب فيها الوعي دوراً مهماً في تطوير الفكر الاجتماعي لدي الجماهير، وساعدهم علي التخلص من عزلتهم

السياسية، ولكثرة الأمثلة التاريخية في هذا الصدد فقد اخترت أبرزها للمناقشة. فمنها علي سبيل المثال ثورة الشعب المصري ضد الاحتلال الفرنسي الذي جاء إلي مصر في أواخر القرن الثامن عشر بهدف تحقيق أطماعه الاستعمارية.



ففي بداية الأمر جاءت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م بقيادة نابليون بونابرت الذي زعم إسلامه وأنه يريد إنقاذ المصريين من ظلم المماليك الطغاة^(٥)، ولكن عندما ظهرت النوايا الحقيقية للمحتل الغربي بدأ الشعب المصري يخرج عن صمته وعزلته وتجمع تحت شعار واحد، ألا وهو (الجلاء)، وخرج الشعب المصري في ثورة عارمة في ٢١ أكتوبر ١٧٩٨م لتحقيق هذه

الغاية، وفي ذلك يقول شيخ المؤرخين المعاصرين للحملة الفرنسية(عبد الرحمن الجبرتي) في كتابه "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" عن ملابسات وقوع الفتنة(أي الثورة) لمحاربة الفرنسيين في ١١ جمادي الأولي ١٢١٣هـ/ ٢١ أكتوبر ١٧٩٨م "تجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم، ولا قائد يقودهم، وأصبحوا يوم الأحد متحزبين وعلي الجهاد عازمين، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح.. ولهم صياح عظيم، وهول جسيم، ويقولون بصياح في الكلام (نصر الله دين الإسلام)"^(١).



وبدأ الشعب المصري آنذاك في إجراء حركات ثورية متحدة ضد المحتل الفرنسي، وخرج التجار والمشايخ وعامة الشعب عن الصمت الذي كان يلاحقهم بهدف تحقيق النصر علي الفرنسيين والتخلص من ظلمهم، وعلي

الرغم من فشل الثورة في تحقيق هدفها إلا أنها كانت سبباً رئيسياً في زيادة الوعي بين أفراد المجتمع، وقرر كل فرد العمل جاهداً للتخلص من الاحتلال، وتكررت المحاولات الثورية بعد ذلك، وأدت إلي زعزعة الحملة الفرنسية وخروجها من مصر عام ١٨٠١ م، ونجح الشعب المصري في الخروج عن خوفه واستثمر هذه الحركات الثورية في اكتساب المزيد من الوعي بذاته^(٧).

وإذا نظرنا أيضاً إلي دور الوعي الاجتماعي في الحركة الثورية التي قادها الشعب المصري عام ١٩١٩ م ضد الاحتلال البريطاني سنلاحظ مدي تطور هذا العامل ومدي تأثيره علي خروج جموع الجماهير عن عزلتهم بهدف جلاء الانجليز عن مصر. ففي ذلك يقول أحد المعاصرين لثورة ١٩١٩ م وهو الشيخ عبد الوهاب النجار- أحد علماء الأزهر آنذاك - في مذكراته عن ثورة ١٩١٩ م "في اليوم الخامس عشر من شهر مارس سنة ١٩١٩ م. وهو يوم من الأيام العصبية التي منيت بها مصر ورزئت بها البلاد رزءاً شديداً بما سال في أرجاء البلاد من دماء الأبرياء من طلاب العلوم الدينية وطلبة المدارس العالية. ولا ذنب لهم إلا أنهم يظهرون عواطفهم نحو وطنهم ويبدون شعورهم نحو حريتهم المفقودة واستقلال بلادهم المسلوبة بيد الاستعمار الإنجليزي.. ولما كانت الجرائد المصرية ملجمة عن قول الحق، مكفوفة عن الصدق في الرواية، لا تقدر أن تشرح حادثة أو تفصل نكبة من النكبات... لهذا رغبت في خدمة التاريخ والحقيقة في تدوين حوادث هذه الأيام الحمراء علي وجه الصواب متحرراً في ذلك الحقيقة"^(٨).



ويتضح من وصف الشيخ عبد الوهاب النجار لحركة ١٩١٩م الثورية نجاح الدور الذي قامت به كل فئات الشعب المصري في هذه الحركة وخروجهم علي المحتل الأجنبي في ثورة فريدة من نوعها في التاريخ المصري الحديث، وتمثل الوعي الاجتماعي في هذه الثورة بما أملتة الجماهير المصرية علي المحتل الانجليزي من مطالب دون تردد أو خوف من بطش هذا المحتل أو من استعماله الأساليب القمعية لتشتيت جموع الجماهير، ومما يدل علي ذلك خروج طلاب المدارس والنساء وعامة الشعب في هذه الثورة بهدف تحقيق الذاتية المصرية المستقلة عن الاستعمار البريطاني، والإفراج عن سعد زغلول ورفاقه من منفاهم في جزيرة (مالطة)، بل ومشاركة الوفد المصري بقيادة سعد زغلول في مؤتمر الصلح الذي عُقد في باريس عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) بهدف عرض القضية المصرية في مؤتمر الصلح والحصول علي الذاتية المستقلة المطلوبة، وبالفعل استطاع الشعب المصري، بوعيه

الاجتماعي، تحقيق أهدافه وتم الإفراج عن سعد زغلول ورفاقه من منفاهم، وسافر الوفد المصري لحضور مؤتمر الصلح في باريس، واتخذ الاحتلال الانجليزي سياسة هادئة في المعاملة مع الجماهير المصرية بعد إدراكه بعدم جدية الأساليب القمعية مع شعب علي دراية كبيرة بوعيه الاجتماعي^(٩)،



والأمثلة في التاريخ المصري كثيرة جداً والقارئ في هذا المجال يكتشف مدي تأثير الوعي الاجتماعي علي الجماهير واتحادهم ضد أي مُحتل حاول انتزاع هذا الوطن بمختلف الحيل السياسية.

الهوامش:

- (١) بشير أبو القرايا: النظام الانتفاضي "نظرة في الواقع العربي والإنساني"، مكتبة حسن العصرية، بيروت، ط١، ٢٠١٣ م، ص ٢٠٣. جاد الكريم الجباعي: من الرعوية إلى المواطنة، أطلس للنشر والترجمة والإنتاج الثقافي، بيروت، ٢٠١٤ م، ٢٣٦.
- (٢) أحمد طاهر مسعود: المدخل إلى علم الاجتماع العام، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١١ م، ص ١٠٣، ١٠٤.
- (٣) المرجع نفسه، ص ١٠٤.
- (٤) نفسه، ص ١٠٤، ١٠٥.
- (٥) نقولا ترك: أخبار المشيخة الفرنسية في الديار المصرية. تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣ م، ص ٢١، ٢٠.
- (٦) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الثالث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩ م، ص ٤١.
- (٧) أنور عبد الملك: نهضة مصر (تكوين الفكر والأيدولوجية في نهضة مصر الوطنية)، ترجمة: حمادة إبراهيم، وجيه عبد المسيح، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١ م، ص ٢٣٢-٢٣٥. محمد فؤاد شكري: الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣ م، ص ٥٠٧.
- (٨) عبد الوهاب النجار: الأيام الحمراء "مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار عن ثورة ١٩١٩ م" تحقيق: مصطفى الغريب محمد، دراسة: أحمد زكريا الشلق، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠ م، ص ١٩.
- (٩) عبد المنعم أبوبكر وآخرون: كفاحنا ضد الغزاة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١ م، ص ٣٨٢-٣٨٨.

المصريون والفرنسيون قبيل الاحتلال الفرنسي

انحصرت صور الفرنسيين في عيون المصريين قبيل الاحتلال الفرنسي (١٧٩٨-١٨٠١م) بين صورة التاجر وصورة الرحالة، وذلك بحكم طبيعة المعاملات التي كانت تتم بين المصريين وفئة التجار الفرنسيين، أو الفرنسيين الذين قصدوا مصر بهدف الزيارة خلال فترة الحكم العثماني لمصر (١٥١٧-١٧٩٨م) بالإضافة إلي ما قيل عن أن خضوع مصر تحت الحكم العثماني وتحول الطريق العالمي للتجارة، أدى إلي انطفاء شرارة الاحتكاك بين المصريين والثقافات الأخرى المختلفة عنهم، وهذا الأمر يفسر تحديد العلاقة التي وجدت بين المصريين والفرنسيين، وغيرهم من الأوروبيين، بعد تحول مصر إلي ولاية عثمانية عام ١٥١٧م، حيث اقتضت العلاقة بين الطرفين علي التبادل التجاري، وعلي الرحلات التي جاءت إلي مصر حتي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ولأهمية هاتين العلاقتين بالنسبة للطرفين المصري والفرنسي في تلك الفترة تأتي أهمية التعرض لهما بقدر من التفصيل لمعرفة مدي إسهامهما في تطور العلاقة بين المصريين والفرنسيين حتي مجيء الاحتلال الفرنسي علي مصر عام ١٧٩٨م.

المصريين والتجار الفرنسيون:

زاد الوجود الفرنسي في مصر في العصر العثماني عقب اتفاقية عام ١٥٣٥م التي عقدت بين الدولة العثمانية وفرنسا. ومع أن هذه المعاهدة كانت في أحد أشكالها معاهدة تحالف، فإن فرنسا استطاعت من خلالها الحصول علي

الكثير من الحقوق والمزايا لرعاياها الفرنسيين في صورة (امتيازات)^(١). ومن هذه الحقوق والامتيازات التي تمتع بها الرعايا الفرنسيين ما جاء في "البند الأول" من هذه المعاهدة عن حرية الانتقال إلى الموانئ بحرية تامة، وممارسة التجارة في جميع المناطق الخاضعة للدولة العثمانية^(٢)، كما تم تحديد الرسوم الجمركية لهم وإعفاؤهم من دفع أي ضريبة أخرى^(٣). ونتيجة لذلك زاد عدد التجار الفرنسيين في مصر، وأقاموا في البداية بالمناطق الساحلية المصرية، لاسيما في مدينة الإسكندرية في حي عُرف باسم (حي الإفرنج/الحي الأوروبي)^(٤) الذي خصص لجميع التجار الأوروبيين سواء من الفرنسيين أو الانجليز أو البنادقة أو الجنوئين وغيرهم من أبناء الدول الأوروبية التي كان لأبنائها حق الاتجار في أراضي الدولة العثمانية^(٥).

كان التجار الفرنسيون من أكثر الأوروبيين الذين نجحوا في إقامة علاقات تجارية متنوعة مع مصر، مما أعطي المصريين فرصة كبيرة للتعرف على عادات وتقاليدهؤلاء التجار. فعلى الرغم من وصف بلادهم بـ(بلاد النصارى)^(٦) إلا أن الكثير من التجار الفرنسيين تمتعوا بمكانة كبيرة لدى المصريين بخلاف غيرهم من التجار الأوروبيين عامة، حيث تم تمييزهم بكثير من العبارات الراقية - بعض الشيء - مثل استخدام عبارة (فخر الملة المسيحية)، والتي استخدمت بصورة كبيرة في دفاتر المحاكم الشرعية، وخاصة في حالة تسوية النزاعات بين الفرنسيين واليهود المصريين^(٧).



كما لعبت القنصلية الفرنسية دوراً كبيراً في توطيد العلاقات التجارية بين المصريين والفرنسيين، بسبب الحرية التي تمتع بها القناصل في إدارة الشؤون التجارية والمدنية لرعايا دولتهم، وذلك في ضوء الامتيازات والاتفاقيات المبرمة مع الدولة العثمانية، والتي كانت تنفذ بحذافيرها علي يد باشا مصر (نائب السلطان في الولاية) حيث كان يتسلم تعليمات من استانبول توصيه بحسن معاملة قناصل الدول ومنحهم كل الحقوق اللازمة وعدم إلحاق أي أذى بهم وإعطائهم الحصانة الكاملة في إدارة شؤون القنصليات^(٨)، الأمر الذي يوضح ظهور الكثير من العبارات التفخيمية في سجلات المحاكم الشرعية المصرية لقناصل فرنسا بالتحديد مثل عبارة "افتخار الملة المسيحية" و"عين أعيان الملة العيسوية"^(٩). ثم جاءت معاهدة عام ١٧٤٠م - التي عقدت بين الدولة العثمانية وفرنسا- لتعطي مزيداً من الصلاحيات والمزايا للقناصل الفرنسيين

في الأراضي المصرية، حيث جاءت بنود هذه المعاهدة لتؤكد علي ذلك، وخاصة في أحقية فصل النزاعات بين الفرنسيين مع عدم تدخل القضاء في مصر^(١٠).

وفي ضوء وثائق المحاكم الشرعية يمكننا الإجابة علي أكثر من سؤال في هذا الصدد ومنها: ما طبيعة العلاقات التجارية وأشكالها بين المصريين والفرنسيين آنذاك؟ وما الصورة الذهنية والأفكار التي كونها المصريون عن هؤلاء التجار الإفرنج وبلادهم؟.

تتضمن سجلات المحاكم الشرعية في تلك الفترة أعداداً يصعب حصرها من المعاملات التجارية بين المصريين والتجار الفرنسيين والأوروبيين، حيث أقام الفرنسيون علاقات تجارية متنوعة مع المصريين مثل تجارة الأرز^(١١) والكتان والشعير والحصير^(١٢) والهار بأنواعه مثل الفلفل^(١٣) والزنجبيل والقرنفل^(١٤) وتجارة القهوة (قهوة الزنجبيل) والنشادر والجلود^(١٥) والصمغ^(١٦) وتجارة القماش بأنواعه^(١٧) وتجارة القوارب ومعداتها مثل المجاديف والمرامي والآلات والمدافع والبنادق^(١٨) وكذلك تجارة الرقيق^(١٩).

ورغم تنوع العلاقات التجارية بين المصريين والفرنسيين في مصر، فإن التعامل بينهما كان يتم بشكل حذر لاختلاف العقيدة الدينية، سواء في حالة تعامل الفرنسي مع مسلم أو يهودي، أو حتى مع مسيحي يختلف عنه في المذهب. فقد كان يحدث في كثير من الأحيان منازعات بين التجار الفرنسيين والمصريين لأسباب متعددة، إما في حالة عدم سداد مبالغ مستحقة^(٢٠)، أو عدم رد شيء مرهون بعد سداد المبلغ المستحق^(٢١)، أو في حالة تعدي تاجر فرنسي علي شخص مصري بالسرقة^(٢٢)، أو التعدي بالسب والشتائم. من ذلك اعتداء أحد الفرنسيين ويدعي (فرنسيسكو بن برتلميو) علي أحد النصارى المصريين وسبه باللغة العربية، وشهد علي ذلك أحد المسلمين المصريين^(٢٣).



وفي كل هذه الحالات كان لابد من حضور الأطراف المتخصصة أمام المحكمة المصرية، وحضور القنصل العام أو وكيله، والمترجم (الترجمان) الخاص بالقنصلية والذي كان في الغالب من اليهود المصريين المتقنين للغة الفرنسية. أمثال "المعلم باروخ بن موسي اليهودي الربان ترجمان طايقة الفرنج الفرنسية"^(٢٤)، و"المعلم أصلان بن إسرائيل (إسرائيل) اليهودي الربان الترجمان بخدمة المذكور (أي قنصل الفرنسيين)"^(٢٥). ففي حالات كثيرة كان المترجم اليهودي يؤدي دور الوكيل الشرعي عن أحد التجار الفرنسيين مثل "الذمي موسي بن يوسف اليهودي الترجمان" علي سبيل المثال^(٢٦)، وغيره من المترجمين الذين احتلوا دوراً كبيراً كحلقة وصل بين اللغة العربية واللغات الأوروبية الإفريقية.

أما عن تعاملات المصري مع هؤلاء التجار فقد كانت متأرجحة بعض الشيء. ففي بعض الأحيان كان المصريون يتعاملون معهم باعتبارهم تجار فقط، واحتل البعض منهم مكانة كبيرة في نفوس المصريين، وكانت العلاقات الاقتصادية تصل بينهم إلي تأجير الحوانيت (الدكاكين)^(٢٧) أو السفن^(٢٨) أو حتى

تأجير المنازل بهدف الإقامة المؤقتة^(٢٩)، وتزوج بعض هؤلاء التجار من نساء مصريات^(٣٠)، وقد تعامل المصريون معهم بالود في أغلب الأوقات. وهنا يمكننا الاستدلال بكلام الرحالة الألماني "كارستن نيبور" الذي زار مصر عام ١٧٦١م، وأشار إلى معاملة بعض المصريين للتجار الأوروبيين عامة بشكل طيب، حيث كتب: "ويقيم في رشيد قنصل فرنسي وقنصل بنديقي، كذلك يقيم فيها بعض التجار الأوروبيين ليشرفوا علي نقل بضائع أصحابهم بين القاهرة والإسكندرية. ونزلنا في رشيد عند الفرنسيين، وأهل هذه المدينة مشهورون أبعد الشبهة بأدبهم الجم حيال الأوروبيين.."^(٣١).

وفي أحيان أخرى كان المصريون ينظرون إلي هؤلاء التجار نظره عداوية، حتى تعرض الكثير منهم للضرب والإهانة باعتبارهم "إفرنج غرباء"، وهذا ما ذكره بعض الرحالة الأوروبيين في كتاباتهم^(٣٢). وتؤكد بعض وثائق المحاكم الشرعية - وبشهادة الشهود وبحضور القنصل المختص- تعرض بعض التجار الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين للضرب والاعتداء من الأهالي بسبب سلوك هؤلاء التجار التي رفضها المصريون، حيث تشير إحدى الوثائق لوجود "رجل نصراني فرنسي يسمي بيدوا، وهو بالشارع يعانق امرأة مصرية مسلمة ويقبلها، فأدركه بعض أولاد المسلمين وأرادوا ضربه ورموه ببعض الحجارة"^(٣٣).

كما ذكر الرحالة الألماني كارستن نيبور حادثة أخرى توضح سبب تكوين الصورة العدائية المصرية - في بعض الأحيان- تجاه التجار الفرنسيين آنذاك قائلاً: "وكان للفرنسيين فيما مضى قنصل في دمياط وتجار، حتى أشاع الأهالي أنهم لاحظوا أن هؤلاء الأوروبيين مالوا إلي نساء المسلمين ميلاً مفرطاً، فقتلوهم جميعاً إلا من استطاع الفرار، ولم يعد منذ ذلك الحين لأحد من الفرنسيين - طبقاً لأمر من ملك فرنسا- أن ينزل المدينة حتى البحارة أنفسهم، وعلي من له

أعمال منهم في دمياط أن ينجزها عن طريق وكيل، وأن يدبر أمر التجارة علي سطح السفينة في الميناء"^(٣٤).

كما تتضح النظرة الدينية لهؤلاء التجار بوضوح في وثائق المحاكم الشرعية بمجرد ذكروفاة أي شخص منهم. ففي حالة ذكر اسم المسلم المتوفى يُطلق عليه مثلاً (المرحوم)^(٣٥)، أما في حالة ذكر أي شخص فرنسي أو أوروبي فيطلق عليه كلمة (النصراني الهالك)^(٣٦)، أو (النصراني الفرنسي الهالك)^(٣٧)، أو (الهالكون بالثغر)^(٣٨). ولكن الثابت في هذه النقطة أن مثل تلك المصطلحات لم تكن تطلق علي الفرنسيين أو الأوروبيين فحسب، بل كانت تُطلق أيضاً علي المصريين غير المسلمين^(٣٩).

ويمكن تفسير الرؤية العدائية التي كونها المصريون تجاه هؤلاء التجار بإعادتها لأكثر من سبب. من هذه الأسباب الصورة المتوارثة والراسخة في أذهان المصريين عن هؤلاء الإفرنج "الصليبيين"، أو وضع هؤلاء الأوروبيين في الولايات التابعة للدولة العثمانية. فعلي الرغم من المزايا التجارية التي حصلوا عليها، إلا أنهم منعوا من أشياء كثيرة، باعتبارهم إفرنج، مثل ركوب الحمير إلا في مدينة القاهرة. وكان عليهم أن ينزلوا من فوق الحمار إذا مر عليهم أي شخص من وجهاء القاهرة، وخاصة من المماليك^(٤٠)، كما أنهم أُجبروا علي ارتداء ملابس معينة، وهذا ما يُفسر ارتدائهم - في كثير من الأحيان - ملابس تشبه ملابس المصريين حتى لا يتم التعرف عليهم^(٤١).

أما معلومات المصريين عن بلاد التجار الفرنسيين أو الأوروبيين فقد كانت، بصفة عامة، ضئيلة. فالأوروبيين بالنسبة للمصريين كانوا (إفرنج) بشكل عام، دون تمييز للغتهم أو عقيدتهم الدينية^(٤٢). ومن هنا انحصرت معرفة عامة المصريين بهم في كون التاجر (فرنجي انكليزي)^(٤٣)، أو (فرنجي بندق)^(٤٤) أو (فرنجي فرنسي)^(٤٥) أو (نصراني جنوي)^(٤٦) أو (نصراني فلمنكي)^(٤٧).

وبالنسبة لأوطانهم فإنها كانت شبه مجهولة في الثقافة المصرية خلف ما عُرف
ب(البحر المالح تجاه الإسكندرية)^(٤٨) وهذا ما يفسر ظهور بعض البلاد الأوروبية
في الوثائق علي أنها "بلاد الكفر دمرها الله"^(٤٩) دون تمييزها أو وصفها.

ولقلة معرفة المصريين آنذاك ببلاد أوروبا، جاء ذكرهم العابر والسطحي
لبعض المناطق المشهورة في فرنسا، وهذا ما يتضح من معرفتهم بالتجار
الفرنسيين المشهورين مثل "جوان ريناو" الذي تم تعريفه بأنه "من بلدة تدعي
مرسيليا تحت حكم سلطان الفرنسة، ومن أعيان تجار النصارى الفرنسة
المعتمدين والمتردددين علي الثغر"^(٥٠)، أو تعريف بعضهم بأنه من(بلاد
مرسيله)^(٥١)، أو ذكر هذه المناطق بنوع من التجاهل مثل(ولاية فرنسيس)^(٥٢)،
أو الإشارة إليها ب(بلاده)^(٥٣).

كما تعامل المصريون أيضاً مع اللغات التي يتحدث بها هؤلاء التجار بنوع من
التجاهل بعض الشيء، ولم يهتموا بتعلم تلك اللغات الإفرنجية. ومما يدل
علي ذلك تعميم كل هذه اللغات ووصفها بمصطلح واحد فقط مثل(اللغة
الإفرنجية أو بلسان الإفرنجية)^(٥٤)، ولكن يستثني من ذلك أهل الإسكندرية
الذين أتقنوا أكثر من لغة، وهذا ما أشار إليه الرحالة الألماني كارستن نيبور
قائلاً: "ولقد التقيت هنا بأناس من أهل الإسكندرية يتحدثون لهجة جنوب
فرنسا، ولغة الدانمرك، ولغة السويد، وكأنهم من أهل فرنسا والدانمرك
والسويد..."^(٥٥)، ويمكن تفسير ذلك بسبب كثرة الاحتكاك بين الأوروبيين وأهالي
مدينة الإسكندرية أكثر من أي مدينة أخرى.

وبناء علي ما سبق، يمكن القول أن وجود التجار الأوروبيين عامة،
والفرنسيين خاصة، في مصر أثربشكل كبير علي رؤية الطرفين للآخر. فبالنسبة
للمصريين فقد تنوعت نظرتهم لهؤلاء الإفرنج بين المدح في بعض الأحيان والذم
في أحيان أخرى. أما بالنسبة للفرنسيين فقد تأثر بعضهم بالمصريين، لدرجة

تحول أشخاص منهم إلى الديانة الإسلامية^(٥٦)، وترك بعضهم مهنة التجارة وعملوا في الصناعات الحرفية المصرية^(٥٧).

المصريين والرحالة الفرنسيون:

لم تكن المعاهدات الدبلوماسية التي أبرمتها الدولة العثمانية مع بعض دول أوروبا - وخاصة فرنسا - أول العوامل التي شجعت الرحالة الأوروبيين علي زيارة الشرق، بل تعود هذه الرحلات إلي فترات تاريخية سابقة. وعلى سبيل المثال فإن الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٥-١٠٩٩ م) التي نجحت لفترة في تكوين إمارات صليبية في بلاد الشام، أدت إلى تشجيع الرحلات الأوروبية، كما شجعت الكثير من الأوروبيين علي الرحيل للشرق، سواء لزيارة الأماكن المسيحية المقدسة^(٥٨)، أو بهدف الحصول علي بعض المقتنيات والسلع الشرقية لبيعها في أوروبا، أو بهدف القيام بمغامرة استكشافية للبلاد الشرقية لمشاهدة معالمها التي كانت مجهولة بالنسبة لأهل أوروبا حتى ذلك الوقت، وهي رحلات قام بأكثرها بعض النبلاء الأوروبيين^(٥٩).



كانت النظرة الشرقية للرحالة الأوروبيين زمن الحروب الصليبية متأرجحة بعض الشيء. فالبعض عاملهم باعتبارهم حجاج فقط^(٦٠)، والبعض الآخر عاملهم باعتبارهم إفرنج معادين، وهو ما ذكره المؤرخ الفرنسي فوشيه دي شارتر (Foucher de Chartres) - مؤرخ الحملة الصليبية الأولى - في كتابه "تاريخ الحملة إلى بيت المقدس"^(٦١).

أما عن الاحتكاك المباشر بين المصريين وهؤلاء الرحالة فقد كان يأتي عن طرق الصدفة، من خلال تغيير مسار الكثير من الرحلات الأوروبية^(٦٢) وتوجهها إلى مصر بدلاً من بلاد الشام بسبب العواصف والرياح القوية التي أدت إلى جنوح المراكب الأوروبية ووقوعها في يد الأسطول المصري في البحر المتوسط، أو القبض عليهم من قبل حكام الثغور الساحلية المصرية باعتبارهم إفرنج غرباء^(٦٣).

ورغم الصراعات الدامية بين الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، إلا أن رحلات الفرنسيين لم تنقطع عن زيارة الشرق - وخاصة سيناء - طيلة هذه الفترة، حيث زار سيناء الكثير من الرحالة الفرنسيين أمثال فيليب دالزاس (Philippe d'Alsace) كونت منطقة فلاندرز، ورينو دي شاتيو (Renaud de Chatillon) نبيل منطقة كيراك عام ١١٧٧ م. ومع انتهاء الحروب الصليبية زادت الرحلات الفرنسية إلى مصر، ولمعت أسماء فرنسية كثيرة في هذا الصدد أمثال الرحالة جون دي ماندفيل (Jean de Mandeville) طبيب منطقة لياج الفرنسية، والذي زار مصر بهدف الحج عام ١٣٣٦ م. ومنهم رجل الدين هوج (Hugues) قس مدينة فردان الفرنسية الذي زار مصر عام ١٣٦٠ م، والكونت فيليب دارتوا (Philippe d'Artois) الذي زار مصر عام ١٣٨٩ م، والبارون دانجلور (d'Angelure) الذي زار الكثير من الأماكن

المقدسة المصرية في سيناء عام ١٣٩٥ م، كما زار الأهرامات واعتقد أنها مخازن للجلال^(٦٤).

وبحلول القرن السادس عشر الميلادي ظهرت رحلات فرنسية منظمّة هدفت إلى زيارة المدن المصرية لدراسة عادات وتقاليدها سكانها وطبيعتها أرضها ومعالمها التاريخية. وأول هذه الرحلات هي رحلة القس جان تينو (Jehan Thenaud) الذي زار مصر عام ١٥١٢ م بصحبة السفير الفرنسي أندريه لوروا (Andre le Roy) والذي أرسله الملك لويس الثاني عشر ملك فرنسا إلى السلطان الغوري المملوكي بهدف توطيد العلاقة بين مصر وفرنسا^(٦٥). ولقد دون جان تينو رحلته في كتاب بعنوان (Voyage d' Outremer) أي رحلة وراء البحار، خصص الفصول الثلاثة الأخيرة لوصف سيناء والأراضي المقدسة بها، كما قدم صورة حية عن بعض المدن المصرية ومساحتها، وطبيعتها سكانها، وقدم صورة كاملة عن مقرر القنصلية الفرنسية في مصر في عهد السلطان الغوري، ووصف مدي الرفاهية التي كانت تُنعم بها هذه القنصلية في تلك الفترة^(٦٦).

ومن خلال وصف (ابن إياس) لمراسم استقبال السلطان الغوري لبعثة السفير الفرنسي أندريه لوروا عام ١٥١٢ م، يمكننا أن نستنتج مدي تأثير العلاقات الدبلوماسية بين مصر وفرنسا علي زيادة الرحلات الفرنسية إلى مصر في ذلك الوقت، ومدي علاقة المصريين بهؤلاء الرحالة^(٦٧).

أما عن الرحالة الفرنسيين في مصر في العصر العثماني فقد زاد عددهم علي أثر المعاهدات التي أبرمتها الدولة العثمانية مع فرنسا. فلم تكن هذه المعاهدات خاصة بتنظيم العمليات التجارية في الولايات العثمانية فقط، بل وجدت هناك بنود خاصة -في بعض المعاهدات- لتنظيم شئون الرحلات الفرنسية إلى الولايات العثمانية، وهذا ما يظهر بوضوح في المادة الأولى من معاهدة ١٧٤٠ م التي أبرمت بين السلطان محمود الأول العثماني والملك لويس

الرابع عشر ملك فرنسا، حيث جاءت هذه المادة منوهةً إلى حكام الولايات بعدم منع الرحلات الفرنسية من القدوم إلى الشرق، وخاصة رحلات الحجاج الفرنسيين المتوجهة إلى القدس الشريف^(٦٨).

كانت أولى الرحلات الفرنسية التي زارت مصر بعد أن أصبحت ولاية عثمانية هي رحلة رجل الدين الفرنسي جريفيان أفاجار (Affagart Greffin)، وهو من أثرياء مدينة (مين) الفرنسية، وقدم إلى مصر عام ١٥٣٣م حيث زار الكثير من المدن المصرية مثل الإسكندرية ورشيد والقاهرة، ثم توجه إلى بلاد الشام لزيارة القدس والأماكن المقدسة، وأثناء عودته مر علي مصر مرة أخرى لزيارة الأماكن المقدسة في سيناء. ثم جاء بعده الطبيب الفرنسي بيير بيلون (Pierre Belon) عام ١٥٤٧م^(٦٩)، وتعد رحلته من أهم الرحلات الفرنسية التي زارت مصر في القرن السادس عشر الميلادي، ليس لوصفه الدقيق للكثير من الأماكن المصرية فحسب، بل لأنه أشار إلى بُعد مهم من أبعاد علاقة المصريين بهؤلاء الرحالة الفرنسيين، حيث ذكر أنه تنكر في ثوب راهب فرنسي سكاني قبل دخوله الأراضي المصرية، وذلك لأن المصريين كانوا أكثر تسامحاً مع الرهبان، علي عكس الرحالة والتجار الأوروبيين الذين يأتون إلى مصر بحثاً عن الكنوز الفرعونية^(٧٠)، والأحجار الكريمة وهذا ما ذكره أيضاً بوضوح الرحالة التركي أوليا جلبي (١٦١١-١٦٨٢م) في كتابه (سياحته في مصر)^(٧١).

ومع منتصف القرن السادس عشر الميلادي تحولت زيارات الرحالة الفرنسيين إلى مصر من زيارات خاصة بالحج وزيارة الأماكن المقدسة لزيارات تهدف إلى الاطلاع علي الآثار المصرية القديمة. ويعد الرحالة أندريه تيفيه (Andre Thevet) - الذي زار مصر عام ١٥٥٠م - من أوائل الرحالة الفرنسيين الذين اهتموا بجمع معلومات عن الآثار المصرية القديمة، خاصة الأهرامات التي وصفها بأنها قمم مرتفعة منتهية بزوايا حادة مصنوعة من

الماس، بل ووصل اهتمامه إلي أبعد من ذلك بكثير، وذلك عندما وصل إلي منطقة أهرامات سقارة وأخذ يُنقب في القبور للبحث عن(المومياوات الفرعونية) حيث كان يعتقد الأوروبيون العاملون بالكيمياء والعطارة أن مسحوق هذه المومياوات له قدرات خارقة علي الحماية وإطالة العمر. ومع نهاية القرن السادس عشر الميلادي أصبحت عادة الفرنسيين الارتحال إلي منطقة الأهرامات للتنقيب عن هذه المومياوات الفرعونية^(٧٢)، وساعدهم في ذلك بعض المصريين مقابل الحصول علي المال^(٧٣).

أما الرحلات الفرنسية التي زارت مصر في القرن السابع عشر الميلادي فتنوعت بين رحلات سياسية ودينية وعلمية، وكان أول من زار مصر في أوائل القرن السابع عشر الميلادي هو فرانسوا سافاري (Francois Savary) السفير الفرنسي في استانبول، والذي أرسله الملك هنري الرابع لتجديد الامتيازات الفرنسية مع السلطان أحمد العثماني، وبعد تنفيذ مهمته زار الأهرامات وسقارة واشترى مومياء لحسابه الخاص. كما زار مصر الرحالة فرمنال (Fermanel) عام ١٦٣١ م، ووضع حول رحلته مؤلفاً وصف فيه الأزهر ودوره التعليمي في مصر. وتتضح مخالطة هؤلاء الرحالة بالمصريين في شخصية الرحالة دي مونكوني (De Monconys) الذي زار مصر عام ١٦٤٦ م، وكان شديد الحرص علي تلقي دروس اللغة العربية وحضور الصلوات القبطية المصرية وزيارة العرافين^(٧٤).

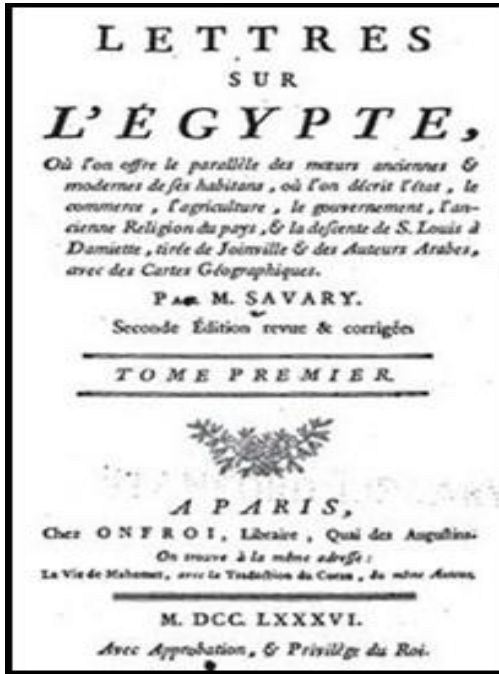
وبالنسبة لمعاملات المصريين مع هؤلاء الرحالة فقد كانت محدودة جداً، لأن المصريين تعاملوا معهم باعتبارهم (إفرنج غرباء)، وهذا ما يفسر اصطحاب الكثير من هؤلاء الرحالة لبعض الجنود الإنكشارية بهدف حراستهم أثناء تجوالهم في المدن المصرية، وهو ما ذكره بوضوح الرحالة الألماني جوفني ميكيله فنسليبيو (G. Michele Vansleblio) المكلف من قبل الحكومة الفرنسية عام

١٦٧١ م للقيام برحلة إلى مصر بهدف شراء بعض المخطوطات العربية والحبشية^(٧٥).

اختلفت الرحلات الفرنسية التي زارت مصر في القرن الثامن عشر كثيراً عن رحلات القرنين السادس عشر والسابع عشر، وذلك لأن الرحلات الفرنسية في القرن الثامن عشر لم تقتصر على زيارة الأماكن المقدسة فقط، بل توغل الكثير من الرحالة الفرنسيين في صعيد وصحاري مصر، وقدموا وصفاً تفصيلياً عن أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة، وهذا ما جعل كتاباتهم تُعد مرآة للحكومة الفرنسية قبل الاحتلال الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨ م^(٧٦).

كانت أولى الرحلات الفرنسية التي زارت مصر في القرن الثامن عشر هي رحلة الطبيب الفرنسي شارل بونسيه (Charles Poncet) الذي كلفه القنصل الفرنسي بينو دي ميليه (Benoit de Maillet) بالسفر إلى الشرق لتوطيد العلاقات التجارية بين فرنسا والحبشة، ولنشر المذهب الكاثوليكي هناك. وبالفعل توجه بونسيه إلى الحبشة وتوغل في مدن مصر العليا ومكث بها لثلاثة أشهر. وتبعه لونواردي رول (Le Noir du Roule) - نائب القنصل الفرنسي في دمياط عام ١٧٠٤ م - لتحقيق ذلك الهدف. ومن الرحالة الذين زاروا مصر أكثر من مرة الفرنسي بول لوقا (Paul lucas) الذي زارها عام ١٧٠٠ م، وعام ١٧١٤ م، وشجعه على ذلك القنصل الفرنسي في القاهرة (لي مير)، كما أنه حصل على توصيات من بعض كبار ضباط الأوجاقات في القاهرة تسمح له التجول في المدن المصرية بحرية تامة^(٧٧).

ورغم تعدد الرحلات الفرنسية التي زارت مصر في تلك الفترة^(٧٨) إلا أنه ظهرت بعض الأسماء الفرنسية اللامعة التي حاولت مخالطة المصريين بأكثر من حيلة وطريقة، ومنهم الرحالة كلود ايتيان سافاري Claude Etienne Savary (١٧٥٠-١٧٨٥ م)^(٧٩) الذي زار مصر عام ١٧٧٧ م وقضى بها قرابة ثلاث سنوات، ونشر رحلته في كتاب (رسائل عن مصر) Lettre Sur l'Egypte. فمنذ أيامه الأولي في مصر حاول مخالطة عامة المصريين، وساعده علي ذلك إتقانه للغة العربية ومعرفته بالقرآن الكريم. الأمر الذي جعله يتجول في الكثير من المناطق في مصر، وخاصة التي لم يتوجه إليها أي رحالة فرنسي قبله^(٨٠).



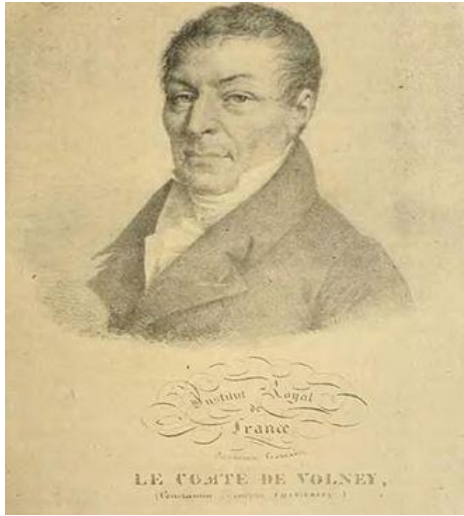
كتاب "رسائل عن مصر" للرحالة الفرنسي سافاري

وعن طريق الثقافة التي أتقنها سافاري - بالرغم من صغر سنه آنذاك- عن عادات وتقاليد الشعب المصري، ومدي تمسكه بعقيدته، حاول إخراج أكثر من كتاب حول هذه النقاط المهمة التي استخدمها -بلا شك- الاحتلال الفرنسي قبل مجيئه إلى مصر، حيث قام بترجمة القرآن الكريم للفرنسية، وترجم كتاباً عن حياة الرسول محمد ﷺ عام ١٧٨٣م، وألف كتاباً في قواعد اللغة العربية، بالإضافة إلى كتابه "رسائل عن مصر" الذي لفت أنظار ضباط الحملة الفرنسية ورسم لهم ألواناً خيالية عن المشرق الملى بالأشجار الخضراء^(٨١).

كما ظهرت بعض الرحلات التي أعطت كتاباتها الضوء الأخضر للحكومة الفرنسية لاحتلال مصر، فقد هدفت هذه الرحلات إلى تقديم التقارير المفصلة عن الوضع السائد للنظام الحاكم وتحصيناته في مصر آنذاك، وهو ما ظهر بوضوح مع تقارير الرحالة المجري البارون دي توت (De Tott) الذي أوفده وزير البحرية الفرنسية إلى مصر عام ١٧٧٧م بهدف تقديم التقارير اللازمة عن وضع التحصينات الشمالية المصرية، وبالفعل قدم دي توت تقريراً وصف فيه التحصينات المصرية بالضعف الشديد، وذكر أنه لا يوجد إلا قلعة واحدة فقط علي الشواطئ الشمالية، ويمكن بسهولة رسو المراكب الفرنسية في منطقة أبي قير بالإسكندرية^(٨٢). ولكن ماذا عن نظرة المصريين لهؤلاء الرحالة في ذلك الوقت؟.

يمكن استخلاص هذه الصورة من بعض كتابات الرحالة الفرنسيين أنفسهم^(٨٣). فعلي الرغم من صعوبة استخلاص ذلك من تلك الكتابات، إلا أنها ذكرت -في كثير من الجزئيات- بعض الأحداث التي يمكن من خلالها استنتاج مدي نظرة المصريين تجاه هؤلاء الرحالة آنذاك. منها مثلاً ما ذكره الرحالة الفرنسي فرانسوا فولني Francois Volney (١٧٥٥-١٨٢٠م) عندما زار مصر عام ١٧٨٢م قائلاً: "إن الأسفار عندنا نزهاة مستحبة، أما هنا فإنها أشغال

شاقة خطيرة. وهي كذلك بنوع خاص للأوروبيين الذين يتصلب الشعب الموسوس في نظره إلههم كسحرة يأتون لينزعوا بالرقى كنوزاً تحرسها الأرواح تحت الأخربة". وفي ضوء حديثه عن وضع الفرنسيين المقيمين في مصر ذكر أيضاً "كان لفرنسا قنصل بقي حتى سنة ١٧٧٧م، ولكن النفقات التي استوجبتها وجوده حدت بأولي الشأن لنقله إلي الإسكندرية. فلم يعترض التجار علي نقله ولم يطلبوا تعويضاً ولبثوا في القاهرة علي مسئوليتهم الخاصة ولم تتبدل وضعيتهم فيها.. إلا أنهم محصورون في زقاق واسع يتعايشون، وقلما كانت لهم صلات بغيرهم، وهم يتحاشون الخروج ما استطاعوا لئلا يتعرضوا لشتائم الشعب الذي يكره اسم الفرنجة" (٨٤).



الرحالة الفرنسي فرانسوا فولني (١٧٥٧-١٨٢٠م)

إذا حاولنا تحليل ما ذكره فولني حول بعض أبعاد النظرة المصرية تجاه الفرنسيين آنذاك، نستنتج مدي تأثير العلاقات العدائية السابقة بين الطرفين -وخاصة فترة الحروب الصليبية- علي نظرة الشعب المصري لهؤلاء الأوروبيين

عامة، وهو ما ذكره الرحالة الألماني كارستن نيبور (١٧٣٣-١٨١٥م) قائلاً: "التقيت باثنين من الملاحين الفرنسيين في المدينة، ولكنني لاحظت عليهما أنهما يخافان خوفاً شديداً ليس بالقليل من الأهالي الذين يذكرون علاوة علي الحادثة المذكورة الحروب الصليبية ولذلك يعادون الأوروبيين جميعاً عداوة كبيرة.. وكان هذان البحاران يلبسان العمامة ويلتفان بعباءة تركية. ولما كنا نحن نرتدي الملابس التركية كاملة ونستطيع التحدث مع الأهالي نوعاً ما، فقد أمضينا وقتنا في المدينة دون أن نخشى شيئاً كثيراً من العامة..."^(٨٥).

وفي النهاية يمكن القول أن نظرة المصريين للأوروبيين بصفة عامة في العصر العثماني كانت نظرة عدائية متوارثة منذ فترة الحروب الصليبية التي ظهر فيها الغرب بصورة عدوانية كفرية في عيون الشرق المسلم آنذاك، وهذا ما أدى إلي تبلور هذه الصورة في عيون الشرق العربي علي مدي فترات تاريخية لاحقة أثرت بشكل كبير علي رؤية الشرق للغرب، ومن جراء ذلك تكون حاجز كبير بين الثقافتين أدى إلي ظهور ما يُعرف بتجاهل الآخر والنفور منه. فالأوروبيين بالنسبة للمصريين كانوا "إفرنج كفار" لا يعرفون عنهم إلا القليل سواء عن أجناسهم أو بلادهم التي ذكرت في كثير من كتابات المصريين باعتبارها "بلاد الكفر دمرها الله".

أما عن الفرنسيين في مصر في العصر العثماني فقد تمتعوا بمزايا كثيرة لم يتمتع بها غيرهم من الأوروبيين تحت عامل الامتيازات التي حصلوا عليها من الإمبراطورية العثمانية آنذاك، وهذا ما أدى إلي زيادة العلاقات بين الفرنسيين والمصريين في العصر العثماني بصفة خاصة لتصل إلي درجة زواج بعض الفرنسيين من مصريات أو تحول بعضهم إلي الدين الإسلامي، ولكن علي الرغم من ذلك كانت المعلومات التي امتلكها المصريون عن بلاد هؤلاء الأوروبيين محدودة جداً، ولم يعرفوا عنها إلا القليل في إطار المعاملات التجارية التي كانت

تتم بين الطرفين، أو من خلال الرحلات القادمة إلى مصر. فلم تظهر المصادر المعاصرة أي معرفة عن طبيعة هذه البلاد وعادات سكانها في عيون المصريين، واقتصرت هذه المعرفة على أسماء بعض المدن الأوروبية مثل مرسيليا وغيرها من المدن التجارية التي كانت تحتك بصورة مباشرة مع الكثير من المصريين في هذه الفترة، وهذا الأمر جعل الشعب المصري في حالة جهل تام تجاه التقدم الأوروبي الذي صُدم به في كيان الاحتلال الفرنسي في النهاية.

الهوامش:

(١) روبرمانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، الجزء الأول، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ٢٢٦. أنظر أيضاً: صلاح أحمد هريدي علي: الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٩ م، ص ٢١.

(٢) البند الأول من معاهدة الصداقة والتجارة بين الإمبراطورية العثمانية وفرنسا الموقعة في فبراير ١٥٣٥ م. نقلاً عن:-

J.C.Hurewitz: Diplomacy in the Near and Middle East A Documentary Record(1535 -1914), Vol(1), New York, 1956,p2

(٣) البند الثاني من معاهدة ١٥٣٥ م، نقلاً عن:- J.C.Hurewitz , Op.Cit. P2.

(٤) أ.ب. كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة: محمد مسعود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١ م، ص ٢١٤.

(٥) عقدت الدولة العثمانية عدة اتفاقيات مع دول أوروبية بغرض تنظيم وتحديد وضع رعايا هذه الدول وأحوالهم المعيشية وتوضيح التسهيلات الممنوحة لهم في أنحاء الدولة العثمانية، وكانت أولى الدول التي حصلت علي امتيازات من الدولة العثمانية هي البندقية عام ١٤٥٤ م، كما كانت أول دولة يكون لها قنصل في استانبول. كما وقعت انجلترا معاهدة عام ١٥٧٩ م في عهد الملكة إليزابيث الأولى والسلطان مراد الثالث حصلت بمقتضاها علي امتيازات كثيرة للرعايا الانجليز في الأراضي العثمانية، ثم تلي ذلك عدة معاهدات وقعتها الدولة العثمانية مع الكثير من دول أوروبا مثل هولندا والنمسا وجنوه وفلورنسا والسويد والدانمرك وبروسيا والمجربولجيك وغيرهم من الدول الأوروبية. أما فرنسا فقد عقدت عدة معاهدات مع الدولة العثمانية حصلت بمقتضاها علي حرية التجارة في الأراضي العثمانية، وكانت أولى هذه المعاهدات معاهدة عام ١٥١٧ م التي كانت بمثابة تجديداً لمعاهدة سنة ١٥٠٧ م بين فرنسا ومصر في عهد دولة المماليك، ثم معاهدة عام ١٥٣٥ م التي تعتبر أساس المعاهدات اللاحقة، ثم معاهدة ١٥٩٧ م، ثم معاهدة ١٦٠٤ م والتي عقدت بين السلطان أحمد وهنري الأكبر ملك فرنسا، ثم معاهدة عام ١٦٧٣ م، ثم معاهدة ١٧٤٠ م التي عقدت بين السلطان محمود الأول والملك لويس الخامس عشر، ثم استطاعت فرنسا الحصول علي معاهدات تجارية بعد ذلك من أمراء

الممالك في مصر مثل معاهدة ١٧٨٥ م والتي عقدت بين "تروجين" مبعوث وزير البحرية الفرنسية وسفير فرنسا لدى السلطان العثماني و"مراد بك" وهي معاهدة تجارية ملاحية حصلت فرنسا بمقتضاها علي حرية مرور بضائعها من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر مع ضمان سلامة مراكبها في ميناء السويس وتنظيم الرسوم الجمركية، وجددت هذه المعاهدة بين ملتزم الجمارك ومراد بك وتعهد فيها مراد بك بمراعاة التجار الفرنسيين وحسن معاملتهم. زينب محمد حسين الغنام: الجاليات الأجنبية ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر إبان العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨ م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ١٩٨٨ م، ص ٣٣-٥٢.

(٦) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات، ٥ ربيع أول ٩٧٣ هـ/١٥٦٥ م- ٢٥ جمادي الأول ١٠٠١ هـ/١٥٩٢ م، ص ٩٨، كود أرشيفي (١٠٥٨-٠٠١٠٢٩).

(٧) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات، من ١٥ ذي الحجة ١٠١٧ هـ/١٦٠٨ م. إلي ٢ ربيع آخر ١٠١٨ هـ/١٦٠٩ م، ص ١٠٥، كود أرشيفي (١٠٢٩-٠٠١٢٥٤).

(٨) سيد محمد السيد: الإسكندرية ومكانتها الاستراتيجية في العصر العثماني (دراسة وثائقية للمكانة الإدارية والاقتصادية والأمنية لثغر الإسكندرية)، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص ٤٦.

(٩) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات، من ١٥ ذي الحجة ١٠١٧ هـ/١٦٠٨ م إلي ٢ ربيع آخر ١٠١٨ هـ/١٦٠٩ م، ص ١٣٣، كود أرشيفي (١٠٢٩-٠٠١٢٥٤).

(١٠) ومما ورد في هذه المعاهدة: "القناصل الذين ترسلهم فرنسا لينيوبوا عنها في إسكندرية وطرابلس الشام عوضاً عن قناصل سابقين لا يجوز معارضتهم ولا إلزامهم بالرسوم المعروفة بالتكاليف العرفية"، إذا وقع خلاف بين أحد رعايانا وأحد تجار الفرنسيين وتم حضورهما أمام القاضي فالقاضي لا يسمع الدعوي إلا بحضور ترجمان القنسلات وإذا لم يحضر هذا لعذر قوي فتؤجل الدعوي إلي حين حضوره ولا يجب أن يكون غياب حجة للفرنساويين لعدم حضورهم. وإذا حصلت مشاجرة بين فرنساويين فسفراؤهم وقناصلهم يفصلون فيما بينهم بدون معارضة ولا دخل لرجال الضبط والربط"، كلاً لامتيازات

الملوكية الممنوحة إلي أهالي فينتسيا (فينسيا) تُعطي للفرنساويين ونأمر بعدم معارضتهم ويلزم تخويلهم حقوقهم العادلة"، بنود ٢٥، ٢٦، ٢٩ من معاهدة عام ١٧٤٠ م بين فرنسا والباب العالي. نقلاً عن: يوسف أصاف: المعاهدات الدولية التي عقدتها الدولة العلية ومصر مع الدول الأوروبية، المطبعة العمومية، مصر، ١٨٩١ م، ص ٢٧، ٢٨.

(١١) دارالوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مضبطة الإشارات من ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م إلي ١١٩٧ هـ/ ١٧٨٢ م، وثيقة رقم (١٩٥)، كود أرشيفي (١٨٢١٣ - ١٠٢٩).
(١٢) دارالوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ٥ جمادي الأول ١٢٠٢ هـ/ ١٧٨٧ م إلي ١٤ محرم ١٢٠٤ هـ/ ١٧٨٩ م، وثيقة رقم (٧٧٧)، كود أرشيفي (١٠٢٩ - ٠٠١٦٥٤).

(١٣) دارالوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٥ ربيع آخر ٩٨١ هـ/ ١٥٧٣ م إلي ٣٠ رمضان ١٠٠١ هـ/ ١٥٩٢ م، ص ١٠٧، كود أرشيفي (٠٠١٠٦٢ - ١٠٢٩).

(١٤) دارالوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٧ محرم ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م إلي ١٩ جماد الآخر ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢ م، ص ٢٦٧، كود أرشيفي (٠٠١١٥٣ - ١٠٢٩).

(١٥) دارالوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مضبطة الإشارات من ١١٩٥ هـ/ ١٧٨٠ م إلي ١١٩٧ هـ/ ١٧٨٢ م، وثيقة رقم (٨٠٧)، كود أرشيفي (٠٠١٨٢١٣ - ١٠٢٩).

(١٦) دارالوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٤ ذي القعدة ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦ م إلي غرة شوال ١٠٣١ هـ/ ١٦٢١ م، ص ١٢١، كود أرشيفي (٠٠١٢٥٨ - ١٠٢٩).

(١٧) دارالوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٠٥٠ هـ/ ١٦٤٠ م إلي ١٠٥٨ هـ/ ١٦٤٨ م، ص ٤٣٤، وثيقة رقم (١١١٧)، كود أرشيفي (٠٠١٢٦٦ - ١٠٢٩).

(١٨) دارالوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٥ ذي الحجة ١٠١٧ هـ/ ١٦٠٨ م إلي ٢ ربيع آخر ١٠١٨ هـ/ ١٦٠٩ م، ص ٨٩، وثيقة رقم (١٠٥)، كود أرشيفي (٠٠١٢٥٤ - ١٠٢٩).

(١٩) كثيراً ما تولى اليهود المصريون عملية تجارة الرقيق بمصر، حيث لعبوا دوراً كبيراً في عملية الوساطة التجارية في هذا الصدد، وكانت وثائق المبيعات تصف بالتفصيل المملوك أو العبد المجلوب وديانته وبلده، مثل ما جاء في احدي وثائق المبيعات حول عملية بيع وشراء مملوك رومي ووصفته بـ "مملوك نصراني يدعي تسيلوبن أنطونيو، ربع القامة، معتدل، أبيض اللون، غني العينين، واير اللحية، أشقر، من بلاد رومية..." (وتم شراؤه) بثمن قدره من الذهب السلطاني الجديد معاملة تاريخه بالديار المصرية ثلاثة وثلاثون دينار... "دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ٤ رجب ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م، إلي ١٨ رجب ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م، ص ٤٧٥، (١١٦٠-١٠٢٩).

(٢٠) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٥ ذي الحجة ١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م إلي ٢ ربيع آخر ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م، ص ٨٩، وثيقة رقم (١٠٥)، كود أرشيفي (١٠٢٥٤ - ١٠٢٩).

(٢١) استعمل اليهود المصريون أسلوب الرهن للحصول علي مكاسب مالية عن طريق الربا، وضمت وثائق الإشهادات بالمحكمة الشرعية الكثير من هذه الصور منها مثلاً ادعاء "الذمي فرانسيس (يقصد الذمي الفرنسي) يدعي جامكوا ولد نكوله علي حبيب ولد موسي اليهودي بأن المدعي المرقوم أرسل فروه إلي المدعي عليه ليرهن ذلك عنده علي ثمانية عشر قرش فسلمها له وأخذ منه الثمانية عشر قرش وأبقي عنده الفروه المذكورة... وأمهله إلي أن يسافر رشيد وجعل عليه الثمانية عشر قرشاً بقرشين زيادة ثم حضر بعد سفره إلي الثغرو حضر له الدراهم وطلب منه الفروه المذكورة ويدفع له مبلغ الثمانية عشر قرش فرفض". دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر مضبطة الإشهادات من ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م إلي ١١٩٧هـ/ ١٧٨٢م، كود أرشيفي (١٨٢١٣ - ١٠٢٩).

(٢٢) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٠ رجب ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م إلي ٦ ذي الحجة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، ص ٢٨١، وثيقة رقم (٨٢٩)، كود أرشيفي (١٠٢٦١ - ١٠٢٩).

(٢٣) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من جمادي الأول ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م إلي ربيع أول ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م، ص ٥٤، كود أرشيفي (١٠٦٥ - ١٠٢٩).

- (٢٤) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ٤ رجب ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨ م إلى ١٨ رجب ٩٩٧هـ / ١٥٨٨ م، ص ٤٧٥، كود أرشيفي (١٠٢٩ - ١١٦٠).
 (٢٥) دار الوثائق القومية: محكمة باب الشعيرة الشرعية، سجل تحت تاريخ ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١ م إلى ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧ م، ص ٢٩٣، كود أرشيفي (١٠١٤ - ١٠٠٠).
 (٢٦) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالي، دفتر تحت تاريخ ٢٥ ربيع أول ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩ م إلى ٨ ربيع آخر ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠ م، ص ٥٠، وثيقة رقم (٢٢٧)، كود أرشيفي (٢٥٥ - ١٠٠١).
 (٢٧) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالي، دفتر بتاريخ ٢ صفر ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨ م إلى ٢ ذي الحجة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨ م، ص ١٢٤، وثيقة رقم (٤٤٦)، كود أرشيفي (٤٠٦ - ١٠٠١).
 (٢٨) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ٥ جمادي الأول ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧ م إلى ١٤ محرم ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩ م، وثيقة رقم (٧٥٦)، كود أرشيفي (١٠٢٩ - ١١٦٥٤).
 (٢٩) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالي، دفتر تحت تاريخ ١٤ ربيع الآخر ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧ م إلى ١٣ ربيع الأول ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨ م، ص ٢٠٥، وثيقة رقم (٦٣٨)، كود أرشيفي (٢٥٣ - ١٠٠١).
 (٣٠) "لدي القاضي عطا الله المالكي، تزوج اسيدون لوارنو النصراني الفرنسي بامرأة سمت نفسها أورشا المرأة ابنة عبد الله النصرانية الكنديوتية الخلية من نكاح... وحلفت علي صداق جملته خمسة عشر قرشاً من القروش الفضة الكبار الريال المتعامل بها الآن بالديار المصرية، اعترفت بقبض ذلك جميعه الاعتراف الشرعي... وعقد نكاحها عليه به مولانا الحاكم الشرعي المالكي المشار اليه أعلاه بإذنها له بذلك... وورد في يوم الثلاث المبارك سادس عشر من شهر رجب الفرد الأصعب سنة أحد وثلاثين وألف". دار الوثائق القومية: دفتر سجل مبيعات بمحكمة الإسكندرية الشرعية، من ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠ م إلى ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤ م، ص ٣١٣، وثيقة رقم (٦٥٢)، كود أرشيفي (١٠٢٩ - ١١٢٦٢).
 (٣١) كارستن نيبور: رحلة إلي بلاد العرب وما حولها، ترجمة: مصطفى ماهر، الجزء الأول) رحلة إلي مصر ١٧٦١: ١٧٦٢ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢ م، ص ١٣٥.

(٣٢) جوفي ميكيله فنسلبيو: تقرير الحالة الحاضرة لمصر ١٦٧١ م، ترجمة: وديع عوض، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦ م، ص ٥٣. كارستن نيبور: المصدر السابق، ص ٣٢٣.
(٣٣) وثيقة رقم (١٧١)، منشورة في كتاب (عبد الرازق عيسي: المرأة المصرية قبل الحداثة مختارات من وثائق العصر العثماني، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٢ م، ص ٣٦٥).

(٣٤) كارستن نيبور: المصدر السابق، ص ١٤٨، ١٤٩.
(٣٥) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ٢٣ شعبان ١٠٠٩ هـ/ ١٦٠٠ م إلي ١٤ جماد أول ١٠٢٧ هـ/ ١٦١٧ م، ص ٢١، كود أرشيفي (١٠٢٥١ - ١٠٢٩).

(٣٦) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالي، دفتر تحت تاريخ ٨ ربيع الثاني ١٠٦٠ هـ/ ١٦٥٠ م إلي ١٢ ربيع الثاني ١٠٦١ هـ/ ١٦٥١ م، ص ٢٠٢، وثيقة رقم (٨٣٣)، كود أرشيفي (١٠٠١ - ١٠٢٥٦).

(٣٧) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٤ ذي القعدة ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦ م إلي غرة شوال ١٠٣١ هـ/ ١٦٢١ م، ص ١٥٧، وثيقة رقم (٤١٧)، كود أرشيفي (١٠٢٥٨ - ١٠٢٩).

(٣٨) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٠١٨ هـ/ ١٦٠٩ م إلي ١٠١٩ هـ/ ١٦١٠ م، ص ١٥، كود أرشيفي (١٠٢٦١ - ١٠٢٩).

(٣٩) "لدي مولانا أفندي... ادعت الحرمة "انا" المرأة النصرانية ابنة بنت باكموا النصراني العزبا يومئذ علي الخواجا جورجي النصراني الفرانس القاطن بالثغر المرقوم، أن زوج المدعية المذكورة هوغبريال النصراني المقيم داخل الفندق الكائن داخل الثغريباب البحر يتعاطي صناعة الخبز من مدة ثلاث سنوات تقدمت علي تاريخه وأنه اخذ منه خبزاً في أيام متعددة وأوقات متفرقة بمبلغ قدره ستون قرشاً ربالاً واستمر ذلك بزمه الخواجا جورجي المدعي عليه المذكور إلي تاريخه وهلك زوجها المذكور سابقاً وتطالبه بالمبلغ المذكور". دار الوثائق القومية: دفتر سجل مبيعات بمحكمة الإسكندرية الشرعية، من ٢١ جمادي الثاني ١٠٧٠ هـ/ ١٦٥٩ م إلي ٢٩ ذي القعدة ١٠٧٩ هـ/ ١٦٦٨ م، ص ٢٨٥، كود أرشيفي (١٠٢٦٨ - ١٠٢٩).

- (٤٠) س. ف. فولتي: ثلاثة أعوام في بر مصر والشام، ترجمة: إدوار البستاني، الجزء الأول، منشورات دار المكشوف، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٤٩ م، ص ١٤٨.
- (٤١) كارستن نيبور: المصدر السابق، ص ٢٨٦.
- (٤٢) جوفي ميكيله فنسلبيو: المصدر السابق، ص ١٠٩.
- (٤٣) دار الوثائق القومية: محكمة الأحوال الشخصية (الصالحية النجمية)، من ٧ شوال ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م إلي ١٦ رمضان ١٠١٢ هـ / ١٦٠٣ م، ص ٤٦، وثيقة رقم (٢٣١)، كود أرشيفي (١٠٠١ - ١٥٥).
- (٤٤) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالي، دفتر تحت تاريخ ١٥ شعبان ١١٩٥ هـ / ١٧٨٠ م إلي ٨ ذي القعدة ١١٩٦ هـ / ١٧٨١ م، وثيقة رقم (٧٥)، كود أرشيفي (٠٠٠٦٦٦ - ١٠٠١).
- (٤٥) دار الوثائق القومية: محكمة باب الشعرية، دفتر تحت تاريخ ١١٠٦ هـ / ١٦٩٤ م إلي ١١١٣ هـ / ١٧٠١ م، ص ١٧٥، وثيقة رقم (٤٦٥)، كود أرشيفي (٠٠٢٠٨ - ١٠١٤).
- (٤٦) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣ م إلي ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م، ص ٨٤، وثيقة رقم (٢٢١)، كود أرشيفي (٠٠١٢٦٦ - ١٠٢٩).
- (٤٧) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالي، دفتر تحت تاريخ ٢٨ ربيع الأول ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م إلي ٣ ربيع الآخر ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م، ص ١٧، وثيقة رقم (٦٧)، كود أرشيفي (٠٠٠٢١٣ - ١٠٠١).
- (٤٨) دار الوثائق القومية: محكمة رشيد، دفتر تحت تاريخ ١ ربيع الثاني ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م إلي ١١ رمضان ١١٣٥ هـ / ١٧٢٢ م، ص ٣٤٢، وثيقة رقم (٤٨٨)، كود أرشيفي (٠٠٠٨٥١ - ١٠٨٩).
- (٤٩) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م إلي ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م، ص ٣٥٩، وثيقة رقم (٨٩٩)، كود أرشيفي (٠٠١٢٦٦ - ١٠٢٩).
- (٥٠) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ذي القعدة ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م إلي شوال ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م، ص ١٤٩، وثيقة رقم (٣٩٣)، كود أرشيفي (٠٠١٢٥٨ - ١٠٢٩).

(٥١) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م إلي ١٠٥٨هـ / ١٦٤٨م، ص ٣٧٠، وثيقة رقم (٩٣٤)، كود أرشيفي (١٢٦٦.٠٠١٢٩ -).

(٥٢) دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ٢٣ شعبان ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م إلي ١٤ جماد أول ١٠٢٧هـ / ١٦١٧م، ص ١٣، كود أرشيفي (١٠٢٩ - ١٠١٢٥١).

(٥٣) "لدي مولانا أفندي عبد الرحمن دام مجده بترجمة المعلم إسرائيل بن باروخ اليهودي ترجمان طايفة النصاري الفرنسية أدعي بابتدرو ولد بيان النصراني الفرنسي.. أن هارون بن حاييم اليهودي قال بأن المدعي المذكور كان سابقاً نصب عنه بالثغر المذكور شخصاً يدعي بابتدرو النصراني الفرنسي ليتلقي ما يأتي له بالثغر المذكور من بلاده..." دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر سجل مبيعات من ذي القعدة ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م إلي شوال ١٠٣١هـ / ١٦٢١م، ص ١٢١، وثيقة رقم (٣١٧)، كود أرشيفي (١٠٢٩ - ١٠١٢٥٨).

(٥٤) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالي، دفتر تحت تاريخ ٨ ربيع الثاني ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م إلي ١٢ ربيع الثاني ١٠٦١هـ / ١٦٥١م، ص ٢٠٢، وثيقة رقم (٨٣٣)، كود أرشيفي (١٠٠١ - ١٠٠٢٥٦).

(٥٥) كارستن نيبور: المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٥٦) "في ليلة الخميس المبارك ثاني عشر شهر ربيع أول من تاريخه ١١٨٧ هـ: حضر إلي مجلس الشرع الشريف رجل من طايفة النصاري الفرنسيين (بسينسو) ولد النصراني أيولج الفرنسي وطلب الدخول في دين الإسلام طالباً مختاراً ونطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وتبرأ من كل دين يخالف دين محمد بن عبد الله وسعي نفسه أحمد...". دار الوثائق القومية: محكمة الإسكندرية الشرعية، دفتر مضبطة الإشهادات من ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م، ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م، وثيقة رقم (٦١٣)، كود أرشيفي (١٠٢٩ - ١٠١٢٠٩).

(٥٧) دار الوثائق القومية: محكمة الباب العالي، دفتر تحت تاريخ ١٢ ربيع الأول ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م إلي ٢٧ شوال ٩٣٧هـ / ١٥٣٠م، ص ٢٨، وثيقة رقم (١١٣)، كود أرشيفي (١٠٠١ - ١٠٠٠١).

(٥٨) فوشيه الشارترى: الاستيطان الصليبي في فلسطين (تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م)، ترجمة: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، ٢٠٠١ م، ص ١٤٣.

(٥٩) محمد مؤنس أحمد عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧م)، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢م، ص ١٦.

(٦٠) حسن أحمد عبد الجليل البطاوي: رحلات الحجاج الأوروبيين إلى الدول الصليبية في الشرق الإسلامي (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م)، مجلة المؤرخ المصري، العدد رقم (٢٦)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٨٩.

(٦١) "عندما توغلنا داخل أراضي المسلمين. لم يكن باستطاعتنا أن نحصل من السكان المعادين علي الخبز أو أي شيء آخر نأكله. لم يكن أحد منهم يرضي بأن يعطي أو يبيع، وكلما زاد استهلاك منونتنا زادت معاناة الكثيرين من قسوة الجوع... وهذه الزيارة إلى بيت المقدس انتهت مهمتنا المقدسة". فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٦٢) كانت المدن الإيطالية (جنوة وبيزا والبندقية) هي التي تتولي عملية نقل الحجاج الأوروبيين إلى بلاد الشرق، ونافسهم في ذلك بعض المدن الفرنسية البحرية مثل (مرسيليا ومونبيليه). الأمر الذي ساعد علي تشجيع الكثير من الأوروبيين علي القيام برحلات عديدة إلى الشرق في ذلك الوقت حتى وصل الوضع إلى خروج رحلتان كل عام من موانئ أوروبا، وكل رحلة منهما تنقل ما يزيد عن ألف شخص، وذلك بخلاف الرحلات المنفردة التي كان يقوم بها الكثير من النبلاء الأوروبيين، حسن أحمد عبد الجليل البطاوي: المرجع السابق، ص ١٩٨-٢٠١.

(٦٣) أشار المقريزي في كتابه (اتعاظ الحنفا) إلى الكثير من هذه الحوادث، ومنها ما وقع في عام ٥٥٢هـ/١١٥٧م حيث "كسرت مراكب للفرنجة فيها الحجاج منهم علي ثغر الإسكندرية، فقبض عليهم نائب الثغر...". تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد حلمي، ج ٣، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢٣١.

(٦٤) استمرت الرحلات الفرنسية إلى مصر حتى أواخر القرن الخامس عشر، ولكنها كانت بصورة متقطعة وضعيفة بعض الشيء وهذا الأمر أدى لقلّة كتابات الرحالة الفرنسيين عن مصر في هذه الفترة. كما أن الكتابات المصرية احتفظت بالصورة العدائية التي كونتها عن هؤلاء الإفرنج ولتستمر هذه الصورة بعد ذلك طيلة العهدين المملوكي والعثماني

لمصر. جون ماري كاريه: مختارات من كتاب رحالة وأدباء فرنسيون في مصر، ترجمة: سونيا نجا، رشا صالح، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٦م، ص ٤٣، ٤٤.

(٦٥) إلمهم محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ٥٢. جون ماري كاريه: المرجع السابق، ص ٤٤.

(٦٦) يعكس وضع مقر القنصلية الفرنسية في ذلك الوقت مدي العلاقات الجيدة بين السلطان الغوري والملك لويس الثاني عشر، حيث وصف جان تينو مقر القنصلية بأنه عبارة عن منزل يقع علي ضفاف النيل ويضم قاعات مزينة بالمرمر والرخام وملونة بألوان متنوعة، وأبواب القاعات بها من العاج والأبنوس وغيرها من المواد النادرة، وبه حدائق فاخرة متنوعة، ونافورة في وسطه يصل الماء إليها عبر أنابيب غير مرئية. جون ماري كاريه: المرجع السابق، ص ٤٥.

(٦٧) وصف ابن إياس استقبال السلطان الغوري لبعثتي فرنسا والبندقية عام ١٥١٢م قائلاً: "كان له يوماً مشهوداً، وأوكب السلطان في ذلك اليوم وزين باب الزردخاناه.. ثم طلع القاصد وصحبته تقدمه حافلة نحو من مائة جمال ما بين أواني بلور وجوخ ومحمل وأثواب محمل تماشيح وشقق وحرير أطلس وغير ذلك أشياء حافلة، فطلع القاصد وهو راكب علي فرس وقدامه سبعة أنفس من اخصائه وهم راكبون علي خيول والباقي مشاة، فكانوا نحو من خمسين إنساناً من جماعة القاصد الذين جاؤوا صحبته، وكان القاصد رجلاً شيخاً بذقن بيضاء وهو جسيم وعليه وقار، وكان لابساً خلعة جرد ذهب علي حرير أصفر فطلعوا إلي القلعة وقابلوا السلطان ثم نزلوا إلي مكان عُد لهم...". محمد بن أحمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الجزء الرابع، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٨م، ص ٢٥٩.

(٦٨) "لا يعارض الفرنسييس الذاهبون والأيبون من زيارة القدس الشريف وكذلك الرهبان والقسيسيون المقيمون في كنيسة القيامة". المادة الأولى من معاهدة عام ١٧٤٠م المنعقدة بين السلطان العثماني محمود الأول وملك فرنسا لويس الرابع عشر. يوسف أضاف: مصدر سابق، ص ٢٣.

(٦٩) إلمهم محمد ذهني: المرجع السابق، ص ٥٢، ٥٣.

(٧٠) جون ماري كاربه: المرجع السابق، ص ٤٧، ٤٨.

(٧١) ذكر الرحالة أوليا جلي ذلك تحت عنوان (الأحجار العجيبة) قائلاً: "توجد في صحراء سبيل علام هذه حجارة ذات لون أصفر لامع لمعاناً شديداً يظلم دائماً حكماً الإفرنج فينقبون عنها في أيام القيظ في تلك الصحراء الرملية الساخنة. ولهذه الأحجار خاصية عجيبة إذا قبض عليها شخص بكتلا يديه فإن نفسه تغشي وتنقلب معدته ويأخذ في القي ولا يبغي معه شيء". أوليا جلي: سياحته مصر، تحقيق: عبد الوهاب عزام، أحمد السعيد سليمان، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٩ م، ص ٦١١، ٦١٢.

(٧٢) جون ماري كاربه: المرجع السابق، ص ٤٩ - ٥١.

(٧٣) تعود تجارة المومياوات في مصر إلى عهد السلطان الغوري، فقد أشار ابن إياس في "بدائع الزهور" لمثل هذه الحوادث قائلاً: "ومن الوقائع الشنيعة أن الوالي قبض علي شخص من الأتراك يقال له دمرداش، وكان مُشدداً علي دار البطيخ التي بباب النصر، وقد غمر عليه أنه ينبش علي قبور ويأخذ رؤوس الموتى ولحمهم ويبيع ذلك للفرنج يعملون منه المومية، وقيل السم، فلما قبضوا عليه وجدوا عنده من عظام الموتى أشياء كثيرة من جماجم وأعضاء، فحملوا ذلك في قفاف علي حمير وطلعوا بها إلي السلطان حتى شاهد تلك العظام، فلما وقف دمرداش المذكور بين يدي السلطان، سأله عن أمر هذه الجماجم، فقال: هذه من قبور النواويس تأتيني به العربان فأصنع منهم المومية وأبيع ذلك في بلاد الفرنج، ثم وجدوا علي العظام لحماً طرياً، وشهدوا عليه الناس أنه في كل يوم يتوجه إلي الصحراء وينبش قبور الموتى الجدد ويأخذ لحمهم وعظمهم ويبيع ذلك علي الفرنج، فلما تحقق السلطان ذلك أمر بشنقه، فسمروه علي جمل وأشهره في القاهرة حتى أتوا به إلي داره بالقرب من دار البطيخ فشلق هناك، وكان له يوم مشهود". ابن إياس: المصدر السابق، ص ٢٧٥.

(٧٤) إلمهم محمد ذهني: المرجع السابق، ص ٦١ - ٦٦، جون ماري كاربه: المرجع السابق، ص ٦٧ - ٧٤.

(٧٥) "في القاهرة لا يمكنك أن تخطو أربع خطوات إلا وتلقي بعض الضربات أو الدفعات بسبب تدافع الناس.. يلقي الرعاع والأولاد بالحجارة علي الفرنج، وتشاركهم النسوة في ذلك بالبصاق عليهم ويسخرون منهم في الشوارع، ويقوم الأتراك بكل الحيل لخداع الفرنجي واستغلاله ليدفع أكثر، حتى إنه لا يمكن التعامل معهم. ويفرض علي الفرنج أن

يدفعوا ثمن الأمتعة كل مرة يعرفون فيها، ولا يستطيع الفرنج أن يتجولوا أو يتنزهوا لأنهم لا يستطيعون الخروج من البيت بدون حراسة بعض الإنكشارية الذين يطلبون في تلك الحالة ثمناً باهظاً مقابل خدمتهم". جوفني ميكيله فنسليو: مصدر سابق، ص ٥٣.

(٧٦) إلمهم محمد ذهني: مصري في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ م، ص ٨، ٥٢.

(٧٧) جون ماري كاريه: المرجع السابق، ص ٩٦، ٩٧. إلمهم محمد ذهني: مرجع سابق، ص ٥٣ - ٥٩.

(٧٨) أمثال الأب كلود سيكار (Claude Sicard) الذي زار مصر عام ١٧٠٧ م، والطبيب جرانجيه (Granger) الذي زار مصر عام ١٧٣٠ م، والأب دورفال (D'orvalle) الذي زار مصر عام ١٧٤٧ م ونجح في عقد صداقات كثيرة مع شيوخ الأزهر، وأشاد بهم وبأخلاقهم، كما أنه نجح في الحصول علي عدة مخطوطات من مكتبة الجامع الأزهر، والراهب كلود لويس فومون (Claude Louis Fourmont) الذي زار مصر عامي ١٧٤٧ و ١٧٥٤ م. إلمهم ذهني: مصري في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، ص ٥٩ - ٦٤.

(٧٩) ولد كلود ايتيان سافاري في مدينة فيتريه (Vitre) بمقاطعة بريتاني عام ١٧٥٠ م، ودرس في كلية رين (Rennes)، ثم سافر إلى مصر عام ١٧٧٧ م في رحلة استغرقت ثلاث سنوات، وبعد عودته إلى فرنسا أستقبله أحد أصدقائه ويدعي لومونييه (Le Monnier) الذي كان يعمل طبيباً لدي ملك فرنسا وله عضوية بأكاديمية العلوم، الأمر الذي ساعد سافاري علي نشر أعماله ومذكراته، ولكنه لم يحصل علي شهرة كبيرة بسبب وفاته عام ١٧٨٨ م، عن عمر يناهز الثمانية والثلاثين. جون ماري كاريه: المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٨٠) جون أنتيس: مذكرات رحلة عن المصريين وعاداتهم وتقاليدهم في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، ترجمة: سيد أحمد علي الناصري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٣٠، ثروت عكاشة: مصري في عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤ م، ص ٦٨.

(٨١) روبير سوليه: مصرولع فرنسي، ترجمة: لطيف فرج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م، ص ٢٦، ٢٧. ثروت عكاشة: المرجع السابق، ص ٦٩، ٧٠.

(٨٢) عبد العظيم رمضان: تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م، ص ١٦.

(٨٣) تم طرح فكرة رؤية المصريين للفرنسيين في عيون الفرنسيين، كنوع من الإلمام بمختلف جوانب الرؤية المصرية تجاه هؤلاء الرحالة في ذلك الوقت، وخاصة مع ضعف المادة العلمية التي تدعم جوانب الرؤية المصرية الخالصة والمستخلصة من الكتابات المصرية التي تصف مدي رؤية المصريين تجاه هؤلاء الرحالة الذين عرفوا في الثقافة المصرية آنذاك بـ(الإفرنج الغرباء).

(٨٤) فولني: المصدر السابق، ص ١٨، ١٩، ١٤٨.

(٨٥) كارستن نيبور: المصدر السابق، ص ١٤٩.

الإفرنج

الحروب الصليبية وصورة أوروبا في عيون المشرق العربي

نالت قضية رؤية الآخر الأوروبي أهمية كبيرة في المجالات الفكرية والثقافية في مجتمعنا العربي المعاصر، لذا كان من الضروري وضع هذه القضية تحت عدسة التحليل النقدي بهدف الوصول إلى الأبعاد المعرفية التفصيلية لهذه الرؤية علي مدي فترات زمنية طويلة، وهو ما فعله الكثير من الباحثين العرب في مختلف المجالات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فكرية أو أدبية أو غير ذلك بهدف الوصول إلى بعض النتائج المهمة التي تخدم هذه القضية من قريب، فمنهم من تناولها في إطار سياسي لتفسير بعض الصراعات التي حدثت بين الشرق والغرب علي مر العصور، ومنهم من تناولها في إطار اجتماعي لتحليل بعض الظواهر الاجتماعية التي تدخلت بشكل مباشر في تحديد العلاقات بينهما علي مدي فترات زمنية مختلفة، ومنهم من تناولها في إطار أدبي لتوضيح صورة الآخر في الآثار الأدبية لعمالقة الأدباء العرب، وكذلك الوضع مع باقي المجالات.

والموضوع الذي سنقدمه في السطور التالية يتعرض لأشهر الحوادث التاريخية التي تدخلت بشكل كبير في تحديد صورة أوروبا في عيون الشرق العربي لمدة طويلة من الزمان، وهي حادثة "الحروب الصليبية" تلك الحروب التي كان لها أثراً واضحاً في تكوين صورة عدائية تجاه أوروبا وشعبها في عيون العرب بشكل عام، بل إن من الممكن القول بأن هذه الحروب كانت وراء ظهور

معظم أراضي أوروبا في الكتابات العربية علي أنها "بلاد الكفار" لمدة لاحقة تجاوزت الـ ٥٠٠ عام، وبناء علي ذلك يمكننا طرح الأسئلة التالية: متى وكيف بدأت الحروب الصليبية؟ وماذا عن وصف الأوروبيين في المصادر العربية وقتها؟ وهل شكلت هذه الحروب أثراً عدائياً في فكر وثقافة كل طرف تجاه الآخر؟، كل هذه الأسئلة يحاول الموضوع المطروح تقديم إجابات لها، وذلك في ظل بعض الكتابات التاريخية المصدرية التي عاصرت ذلك الحدث المهم في تاريخ البشرية.

بدأت فكرة احتلال الغرب الأوروبي لبلاد الشرق العربي- زمن القرون الوسطي- في صورة هجمات واعتداءات منظمة عرفت في التاريخ باسم الحروب الصليبية (١٠٩٥-١٢٩١م)، ومعها بدأت تتشكل صورة عدائية بين الطرفين (الشرق والغرب)، كما أنها أحدثت تطورات ملحوظة أثرت في الاثنين معاً. ففي أوروبا مثلت هذه الحرب المرحلة الأخيرة من العصور الوسطي، وخاصة بعد الضعف الشديد الذي أصاب الإمبراطورية البيزنطية (شرق أوروبا)، وتعرضها لهجمات الأتراك السلاجقة في آسيا. أما الغرب الأوروبي فوقع فريسة الصراع الديني الذي نشب بين البابوية والحكام الزمانيين^(١).

أما بالنسبة للشرق العربي فقد اعتبر هؤلاء الأوروبيين جماعات من (النصارى) جاءوا بهدف احتلال أراضي المسلمين. متخذين الصليب شعاراً لهم، لذا كان من الضروري محاربتهم واسترداد ما وقع في أيديهم من أراضي تخص الإسلام والمسلمين بغض النظر عن أجناس هؤلاء الأوروبيين، الذين وصفوا بمصطلح موحد عرف آنذاك باسم "الفرنجة":

أترى مناماً ما بعيني أبصرُ القدسُ يُفتح والفرنجة تُكسرُ^(٢)



وفي فترات لاحقة اهتمت المصادر العربية بذكر أجناس "الإفرنج" والتميز بينهم، فعرفتهم بأنهم جماعات من "الانكلتير" (أي الانجليز) و"الافرنسية" و"الألمان"^(٣)، أو خصتهم بـ"الفرنج"^(٤) دون أن تنقل ما يعكس طبيعة أراضيهم وعاداتهم وتقاليدهم، وذلك نظراً لعدم الاحتكاك المباشر بين الشرق والغرب إلا في صور رحلات تجارية ودينية كان يقوم بها بعض الأوروبيين إلى أراضي الشرق، أو العلاقات الدبلوماسية السابقة والمحدودة لخلفاء الدولة العباسية مع حكام أوروبا^(٥). كما أن أوروبا كانت في ذلك الوقت منطوية على نفسها في عصر عرف بـ(العصر المظلم) الذي قَيدت فيه الكنيسة الغربية فكر الأوروبيين وأبعدتهم عن الاتصال بالعالم الخارجي، ونتيجة لذلك ظهر نوع من الجهل أو التجاهل لكل طرف تجاه الآخر، حتى خرج الغرب الأوروبي لأول مرة عن عزلته لتحقيق أطماعه الاستعمارية^(٦).

وبناء علي ذلك تشكلت صورة دينية عدائية في أذهان الشرق العربي تجاه المحتل الغربي، وظهر الغرب في صورة "كفرية"، وأطلق علي الأوروبيين مصطلحات تكفيرية عديدة منها "الفرنج خذلهم الله تعالى"^(٧)، "الفرنج الكفرة الملاعين"^(٨)، "الفرنج لعنهم الله"^(٩)، وغيرها من المصطلحات التي استخدمها الكتّاب العرب في تلك الفترة، وهو الأمر الذي ظهر بصورته المماثلة في الغرب الأوروبي، حيث تم وصف المسلمين بشكل عام ككفرة وأعداء للمسيح والمسيحية^(١٠).

ويمكننا الاستدلال علي ذلك من خلال استعراضنا لأشهر الحملات الصليبية التي أهتم الكتّاب العرب بذكر تفاصيلها، ووصف أحداثها، وهي الحملة الصليبية السابعة^(١١) علي مصر بقيادة لويس التاسع "Louis IX" (١٢١٤-١٢٧٠م)^(١٢)، تلك الحملة التي أشادت المصادر العربية المعاصرة وقتها بدور المصريين في مقاومتها، بل إن الكثير من المؤرخين العرب أشادوا بهذا الدور في فترات لاحقة مثل "أحمد بن علي الحريري" الذي كتب في ذلك قائلاً: "وجري في هذه الأيام من الحروب بين المسلمين والفرنج علي بر المنصورة ما يطول شرحها.. وظهر النصر للمسلمين وقتلوا من الفرنج ثلاثين ألفاً، وأسروا الفرنسيين (الملك الأعظم للفرنج).. وحبسوه في دار ابن لقمان.. وكان هذا النصر العظيم في أول يوم من سنة ثمان وأربعين وستمائة". وفي ذلك أيضاً كتب الشاعر المصري جمال الدين بن مطروح:

قل للفرنسيس إذا جنّته كلام صدق بلسان فصيح
أجارك الله علي ما فعلت من قتل عبادا يسوع المسيح

أتيت مصرأً تبغني ملكها حسبت أن الزمر بالجهل ريح
فساقتك الآن إلي أدهم ضاق به في ناظريك الفسيح
وجمع أصحابك خلفتهم من سوء تديرك وسط الضريح
مائة ألف من مائة ألف ما منهم إلا قتيل أو أسير جريح
وفقك الله لأمثالها لعل عيسي منكم يستريح
وقل لهم إن أرغموا عودة لأخذ ثاراً ولفعل قبيح
دار ابن لقمان علي حالها والقيد باق والطواشي صبيح^(١٣)

وبسبب ذلك ظلت الرؤية تجاه الإفرنج "عدائية" لفترات طويلة لاحقة، خاصة مع هجمات الغرب الأوروبي علي السواحل المصرية في صورة حملات صليبية متقطعة بهدف احتلال مصر، والتي كان منها الحملة الصليبية التي جاءت علي مدينة الإسكندرية عام ١٣٦٥م، في عهد السلطان الأشرف شعبان (١٣٥٣-١٣٧٧م)^(١٤)، وتكونت من "البنادقة"^(١٥) والجنويين^(١٦) وأهل رودس^(١٧) والفرنسيين، ومن أهل قبرص، "وقاموا يقتلون ويأسرون وينهبون أموال الناس، ويحرقون عدة أماكن ودكاكين.. فرفعوا السيف عن أهل المدينة؛ فكانت مدة إقامتهم بغير الإسكندرية ثمانية أيام"^(١٨).



ومما سلفَ، يمكن القول إن حملات الغرب الأوروبي علي الشرق العربي في تلك الآونة أدت إلي خلق نوع من الكراهية عند العرب بشكل عام تجاه الآخر الأوروبي بشكل خاص، بل والنفور من تنمية المعرفة الحضارية عن هذا العالم الذي ظل مجهولاً - بالنسبة للشرق - لفترات طويلة لاحقة في ظل التقدم الذي حققه هذا الغرب مستغلاً هذه الحملات معبراً مهماً في نقل ثقافة الشرق المتقدم آنذاك. ومما يؤكد علي ذلك ما جاء علي لسان أشهر مؤرخي الغرب الأوروبي في العصور الوسطي، وهو وليم الصوري "William of Tyre"^(١٩) الذي أشار إلي هدف تلك الحروب عند الغرب قائلًا: "وهكذا عاد رجالنا إلي ديارهم محملين بأعلى الأسلاب، وحملوا أشياء لم تعرفها بلادنا"^(٢٠). هذا الأمر كان من أكثر الأسباب التي أدت إلي نفور الشرق العربي من أي علاقة تبادلية أو معرفية، إلا في صور محدودة، وذلك طيلة العهدين الأيوبي والمملوكي، بل زاد الأمر تعقداً بين الطرفين بسبب عمليات القرصنة التي استخدمها الغرب الأوروبي في مياه البحرين المتوسط والأحمر وأواخر العهد المملوكي، وتهديد بعض الدول الغربية للأماكن المقدسة في شبه الجزيرة العربية^(٢١).

الهوامش:

- (١) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، المجلد الثامن (عصر الإيمان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ١٣، ١٤، ١١.
- (٢) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج ٢، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧ م، ص ٢٣٣.
- (٣) المصدر نفسه، ص ٣١٧، ٤٠٢.
- (٤) محمد بن محمود أبي السعادات السلموني الشافعي: تاج المعارف وتاريخ الخلايف وذكر من ولي مصر من القضاة الأربع علي ساير المذاهب الأربعة وبعض تراجم، مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم (1608 Arabe)، ص ٦١.
- (٥) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٦٧.
- (٦) سعيد عبد الفتاح عاشور: أضواء جديدة علي الحروب الصليبية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤ م، ص ٨.
- (٧) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، المجلد (٢٨)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ م، ص ٢٦٠.
- (٨) أحمد بن علي الحريري: الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين علي ديار المسلمين. تحقيق: سهيل زكار، دار الملاح، دمشق، ١٩٨١ م، ص ٦١.
- (٩) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل: مصدر سابق، ص ١٨٨.
- (١٠) سهام محمد عبد العظيم: التحضر الإسلامي والبربرية الصليبية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد (٤٦)، كلية الآداب، جامعة المنيا، أكتوبر ٢٠٠٢ م، ص ٢٩٢.
- (١١) الحملة الصليبية السابعة (٦٤٦-٦٤٨ هـ/١٢٤٨-١٢٥٠ م): كان لاسترجاع المسلمين لبيت المقدس من أيدي الصليبيين رد فعل كبير في أوروبا، لذا تم تكليف الملك الفرنسي لويس التاسع بتجهيز حملة صليبية أصطحب فيها الكثير من الأمراء والأشراف الفرنسيين، وعلي رأسهم إخوته

الثلاثة(روبرت دارتوا- ألفونس دو بواتييه- شارل دانجو)، وكذلك المؤرخ الفرنسي جوفروا دو سرجين، وكانت الفكرة التي هدفت إليه الحملة هو السيطرة علي مصر باعتبارها مفتاح استرداد بيت المقدس، وبالفعل تم اعتماد الحملة من مجمع ليون الديني في ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وأبحر لويس إلي مصر بجيش قوامه ٥٠ ألف مقاتل، ولكن فشل في تحقيق هدف الحملة. محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ص١١٧، ١١٨. سامي بن عبد الله المغلوث: أطلس الحملات الصليبية علي المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٧٠.

(١٢) لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م): هو ابن الملك لويس الثامن (١٢٢٣-١٢٢٦م) ملك فرنسا. خلف والده في الحكم وهو في الثانية عشرة من عمره، وبمجرد توليه الحكم واجه عدة صعوبات استطاع السيطرة عليها بمساعدة أمه، بجانب وقوف البابوية إلي جواره. أشهر لويس بتقواه وورعه حتي عرف بـ(القديس لويس). وفي عام ١٢٤٨م قاد الحملة الصليبية السابعة إلي مصر فاستولى علي دمياط. ولكن هُزم جيشه في المنصورة ووقع لويس في الأسر، وسُجن في دار ابن لقمان بالمنصورة، ولم يُطلق سراحه إلا بعد دفع فدية كبيرة. مفيد الزبيدي: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، الجزء الأول، دار أسامة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢١٧. سعيد عبد الفتاح عاشور: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص٢٥١.

(١٣) أحمد بن علي الحريري: مصدر سابق، ص ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠١.

(١٤) الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢-١٣٧٦م): هو شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون المملوكي، حكم مصر أربعة عشر عاماً وشهرين وبضعة أيام، كانت معظمها هدوء وسلام، ولكن في العام الثالث من حكمه أصاب مصر وسوريا قحط وفقر شديد جعل الناس يأكلون القبط والكلاب، ولما أنت السنة الحادية عشر من حكمه أصاب البلاد الحروب الأهلية التي كانت أشد وطأة من المجاعة، وانتهى حكمه بمقتله في ١٥ ذي الحجة ٧٧٨هـ. جرجي زيدان: تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلي الآن مع فذلكة في تاريخ مصر القديم، ج١، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١١م، ص٣٤٢، ٣٤٣.

(١٥) البنادقة: نسبة إلى مدينة البندقية (فينسيا الآن) الواقعة في إيطاليا، وهي من أشهر المدن التجارية الأوروبية في العصور القديمة والوسطى. فبسبب موقع المدينة المتميز استطاع البنادقة منافسة الإغريق في حركة التجارة منذ عصر مبكر، ثم بعد ذلك أصبحت البندقية هي المصدر الرئيسي لتوريد الكثير من السلع للبلاطين الإسلامي والبيزنطي، حتي صارت مركزاً تجارياً عالمياً في القرن الرابع عشر الميلادي، واستطاع البنادقة من جراء ذلك السيطرة علي جزيرة كريت وعلي حركة التجارة في مياه بحر إيجه والبحر المتوسط، كما ارتفعت مكانتها التجارية بشكل كبير بعد ذلك بعد إبرامها معاهدة مع الدولة العثمانية تسهل لتجارها الانتقال بحرية تامة في الأراضي التابعة لها. عبد الله إبراهيم: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٧٦. إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، بدون تاريخ نشر، ص ١٠٩. برنارد لويس: اكتشاف المسلمين لأوروبا، ترجمة: ماهر عبد القادر، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٢١٦.

(١٦) الجنوبية: سكان مدينة جنوه الإيطالية التي ذاعت شهرتها في حركة التبادلات التجارية بين الشرق والغرب بداية من القرن الثالث عشر الميلادي، وخاصة بعد توقيع الجنوبيون لعدة معاهدات تجارية مع سلاطين الدولة المملوكية بمصر، وأشهرها المعاهدة التجارية التي تم توقيعها مع السلطان المملوكي قلاوون ووالده الأشرف خليل عام ١٢٩٠م، حتى أصبح الجنوبيون سادة التجارة الشرقية سواء في مصر أو بلاد الشام، ونافسها علي ذلك بعض المدن التجارية الإيطالية الأخرى كالبندقية وبيزا. ومع حلول القرن الرابع عشر الميلادي، وتحديداً في عام ١٣٥٢م وقعت الدولة العثمانية اتفاقية تجارية مع جنوه، ومن جراء ذلك تحولت المستوطنات الجنوبية في غرب الأناضول إلي موانئ لتصدير البضائع والسلع التجارية، وتمتع الجنوبيون بعد ذلك بحرية الانتقال إلي المناطق التابعة للدولة العثمانية. خالد بن محمد مبارك القاسمي: العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٣٣. ميسون عبيدات: الامتيازات الأجنبية وأثرها علي الدولة العثمانية، دراسة منشورة ضمن كتاب "التحولات الفكرية في العالم الإسلامي"

من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري، تحرير: عليان الجالودي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ٢٠١٤ م، ص ٦٠٦.

(١٧) أهل رودس: نسبة إلى جزيرة رودس في البحر المتوسط، وهي من أهم الجزر التي كانت لها مكانة كبيرة في العصور القديمة والوسطى، لدرجة أن ياقوت الحموي في تعريفه لهذه الجزيرة في كتابه "معجم البلدان" ذكر أنها "أول بلاد أفرنجة"، واستشهد بما قاله المسعودي عنها بقوله "وهذه الجزيرة في وقتنا هذا - وهو سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٤ م - دار صناعة الروم وبها تبني المراكب البحرية، وفيها خلق من الروم ومراكبهم تقارب بلاد الإسكندرية وغيرها من بلاد مصر فتغير وتسي وتأخذ". شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ م، ص ٧٨.

(١٨) محمد بن أحمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الجزء الأول (القسم الثاني)، الطبعة الثالثة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ٢٣.

(١٩) وليم الصوري "William of Tyre": مؤرخ لاتيني ورئيس أساقفة صور، ومن أهم المؤرخين في العصور الوسطى الذين عاصروا المشروع الصليبي. ولد وليم في بيت المقدس عام ١١٣٠ م، أي بعد أن أخضعها الصليبيون لسيادتهم السياسية. أظهر الصوري منذ نعومة أظفاره حباً للعلم والتحصيل، حيث أظهر ولعاً كبيراً باللاهوت، الأمر الذي ساعده في الوصول إلى وظيفة رئيس أساقفة صور. وبجانب ذلك أجاد الصوري عدة لغات مثل اللاتينية واليونانية والعربية، وأفاده ذلك في إثراء كتاباته التاريخية، وصار متصلاً بالملك الصليبي عموري الأول "Amaury I" (١١٦٣-١١٧٤ م)، ودعاه إلى تأليف تاريخه المعروف باسم "تاريخ الأعمال التي جرت فيما وراء البحر" الذي ترجم للعربية بمصر في أربع مجلدات بعنوان الحروب الصليبية. ويقال إن وليم الصوري مات مسموماً في عام ١١٨٤ م. محمد مؤنس عوض: الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥ م، ص ١٣١، ١٣٢. جمال محمد الزنكي:

موضوعية المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد ٨٥، المجلد (٢٢)، الكويت، ٢٠٠٤م، ص ٤١، ٤٢.

(٢٠) وليم الصوري: مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٠٠.

(٢١) ابن إياس: المصدر السابق، الجزء الرابع، ص ١٠٩. محمد صبري الدالي: فقهاء وفقراء "اتجاهات فكرية وسياسية في مصر العثمانية"، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٣٣٢.

باكورة الصحافة في مصر

لم تشهد مصر علي مر عصورها "الصحافة" بالشكل الحديث إلا مع الاحتلال الفرنسي (١٧٩٨-١٨٠١م)، حيث كانت الأخبار تُنقل -قبل الاحتلال- عن طريق الروايات الشفاهية التي يتداولها الناس فيما بينهم، أو عن طريق الرحالة الذين تجولوا في البلاد، وعندما جاء الاحتلال الفرنسي عمل علي تأسيس وسيلة إعلامية تُسجل بعض إنجازات جنوده وعلمائه بمصر، وهو ما ذكره جان لومبير تاليان "Jean Lambert Tallien" (١٧٦٧-١٨٢٠)، أحد علماء الحملة الفرنسية، في مقدمة صحيفة لاديكاد إيجيبسيين "La Decade Egyptienne"^(١) قائلاً: "والهدف الذي نضعه نصب أعيننا هو تعريف أكبر عدد من الناس بمصر. وليس كافياً أن يعرفها الفرنسيون الموجودون فيها فحسب، وإنما يجب أن تعرفها فرنسا بل أوروبا كلها.. وترحب جريدة لاديكاد بنشر كل ما هو مفيد من المعلومات والبحوث العلمية وكل جيد من النظريات والمكتشفات والظواهر الطبيعية العجيبة والآثار المهمة"^(٢).

وبناء علي ذلك، أنشأ الاحتلال الفرنسي أثناء وجوده بمصر "ثلاث صحف" اثنين بالفرنسية وواحدة بالعربية، وهما كالتالي: "الصحيفة الأولى" كانت إخبارية لجنود الحملة لنقل الأخبار لهم، وكانت تُصدر باللغة الفرنسية وهي صحيفة كورييه دي ليجيب "Courrier De L'Egypte" (أي بريد مصر) وأنشأت هذه الصحيفة في ٢٩ أغسطس عام ١٧٩٨م^(٣). و"الصحيفة الثانية" لنشر أبحاث علماء الحملة الفرنسية بعد مناقشتها في المجمع العلمي المصري الذي أنشأه بونابرت في أغسطس ١٧٩٨م، وكانت أيضاً باللغة الفرنسية، وهي

صحيفة لاديكاد إيجيبسين "La Decade Egyptienne" (أي العشرية المصرية)، وظهرت هذه الصحيفة في أول أكتوبر ١٧٩٨ م^(٤). أما "الصحيفة الثالثة" فكانت باللغة العربية، وهي صحيفة التنبيه "L'Avertissement" وأنشئت بأمر القائد الثالث للحملة "الجنرال مينو Menou" في ٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ م، وأشرف علي تحريرها الشيخ إسماعيل الخشاب "أمين المحفوظات في ذلك الوقت"، واهتمت بنشر أخبار الحملة وأحداث الديوان المصري وبعض أخبار آسيا وأوروبا^(٥).



صحيفة لاديكاد إيجيبسين

COURIER DE L'EGYPTE.

N.º 116.

LE 20 PRAIRIAL, IX.º ANNÉE DE LA RÉPUBLIQUE.

ALEXANDRIE.

La note ci-jointe des promotions faites, il y a peu de temps, en présence de l'ennemi, peut être regardée comme officielle.

Le général de brigade Zeynchek, a été nommé général de division commandant la cavalerie.

Les citoyens Morangiez, chef de la 11^{ème} demi-brigade, et Lefebvre, chef de la 25^{ème} demi-brigade de bataille, ont été nommés généraux de brigade.

KAIRE.

Les Anglais réunis aux Osmanlis et aux Mamlouks, et servis puissamment par les Arabes, sont à la vue du Kaire; il est facile d'appréhender qu'il se proposent de le céder.

La cavalerie ennemie escarmouche journellement dans la campagne.

Le Nil est couvert de petits bâtimens, destinés à approvisionner l'armée ennemie, et à porter son artillerie et ses munitions.

De notre côté la plus grande activité règne dans les travaux, utiles à notre

défense, tant aux environs du Kaire, que dans les forts et à la citadelle.

La tranquillité des habitans est toujours la même, et il paraît bien difficile, d'après les témoignages multipliés de leur attachement, qu'elle puisse être altérée.

Le général de division Belliard, commandant de la place et arrondissement, voulant assurer aux troupes sous ses ordres la subsistance qui leur est accordée par les lois, a créé par son ordre du jour, du 1^{er} du courant, une commission chargée de vérifier les poids et romaines employés dans les distributions.

L'épidémie continue à disparaître, et il n'est mort dans la ville, dans cette seconde decade de prairial, d'après les déclarations, que cent quarante-cinq habitans.

Au Kaire, le 19 prairial an 9.

Le Général de Division BELLIARD,
commandant le Kaire.

Aux habitans du Kaire.

Jusqu'à ce jour, votre honneur conduits et les regards que vous avez eus pour tous les Français, vous ont mérité la tranquillité

صحيفة كوربيه دي ليجيب

ومع اعتلاء محمد علي باشا حكم مصر عام ١٨٠٥ م عمل علي إنشاء صحيفة تهتم بنشر الأخبار الرسمية الحكومية تحت اسم "جرنال الخديو" الذي أمر بإنشائه عام ١٨٢٢م، وكان يُصدر هذا الجرنال باللغتين العربية والتركية برئاسة (محمود أفندي) ناظر التقارير، ولكن هذه الصحيفة لم تهتم كثيراً بنشر الأخبار الخارجية بقدر ما كانت تهتم بنشر الحوادث الداخلية المتعلقة بأحوال البلاد، لذا كانت تُرسل إلي رجال الدولة ومأموريها فقط^(١).

وبحلول عام ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م صدر أمر محمد علي باشا بإنشاء "الجرنال الرسمي (الوقائع المصرية) باللغتين العربية والتركية"^(٢)، حيث كان الهدف الأساسي من إنشاء الباشا لجريدة إعلامية هو إطلاع القراء على تنظيماته

ومشروعاته الجديدة، حتى تفهم معظم فئات الشعب -خاصة المثقفين- طبيعة تلك المشروعات.



جريدة الوقائع المصرية

بعد ذلك رأى محمد علي باشا أن الأخبار التي تُدون في جريدة الوقائع، والتي تضم كل ما يتعلق بالأمور الداخلية المصرية لا تكفي وحدها بأن تخرج إلي الناس بهذا الشكل، لذا قرر أن يضم إلي الأخبار الداخلية بعض الأخبار الأخرى التي تأتي من بلاد الحجاز والسودان ومن بعض الجهات الأوروبية، حيث أشار "إبراهيم عبده" في كتابه "تاريخ الوقائع المصرية" إلي أن الجريدة بدأت من عددها الخامس عشر، وما تلاه من أعداد تهتم بنشر الكثير من الأخبار الخارجية الأوروبية المتنوعة مثل أخبار إسبانيا وإنجلترا وإيرلندا وروسيا وفرنسا، حيث انتقت الحكومة تلك الأخبار من الصحف الأوروبية المشتركة

فيها، ومن الأخبار التي كانت ترد من الباب العالي عن أوروبا، حيث اهتمت الوقائع المصرية بتدوين مثل تلك الأخبار لما كانت تتضمنه من علاقة الدولة العثمانية بالدول الأوروبية، فقد ضُمت هذه الأخبار في مصاف الكتابات السياسية التي كانت تُنشر بالجريدة^(٨)، وكل ذلك كان يهدف في النهاية لزيادة المعرفة المصرية بما كان يحدث في بلاد أوروبا في تلك الفترة، ويمكننا الاستدلال على ذلك من الوثيقة التي جاء فيها: "إن الغرض من طبع الوقائع إنما هو لنشر الأخبار الحديثة على الناس حتى يستفيد منها كل إنسان ولا يجب الاكتفاء بنشر أخبار مصر فحسب. وقد أصبح من اللازم إضافة بند في الحوادث الخارجية للجريدة حتى يتقبلها الناس برغبة وشوق ويشتاقون لقراءتها"^(٩).

الهوامش:

(١) لاديكاد إيجيبسين (La Décade Egyptienne): دورية أصدرتها قيادة الحملة الفرنسية لعلمائها، واسمها يعني العشرية المصرية، نسبة إلى الوحدة الزمنية التي تبلغ عشرة أيام، أي ثلث شهر في التقويم الفرنسي للجمهورية الفرنسية، وكانت لاديكاد صحيفة متخصصة في الآداب والاقتصاد السياسي، حيث كانت جريدة علمية تقتصر على المواد الأدبية والقانونية والفنية ونحوها، وصُدرت لاديكاد في أعداد متتالية ضُمت كل مجموعة منها في مجلد، وبلغ عدد مجلداتها ثلاث، أُهدى كل منها إلى أحد قادة الحملة الفرنسية (بونابرت، كليبير، مينو)، وانتهى المجلد الثالث بها في ١٠ مارس ١٨٠١ م. أحمد حسين الصاوي: فجر الصحافة في مصر "دراسة في إعلام الحملة الفرنسية"، ص ٢٥، ٥٩-٥٥.

(٢) جان لومبير تاليان: مقدمة صحيفة لاديكاد إيجيبسين، منشورة في كتاب: صحف بونابرت في مصر (١٧٩٨-١٨٠١ م)، ترجمة: صلاح الدين البستاني، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٧١ م، ص ١٢، ١٣.

(٣) رمزي ميخائيل جيد: تطور الخبر في الصحافة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥ م، ص ١٩.

(٤) رامي عطا صديق: الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر "تاريخها وافتتاحياتها"، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص ١٤.

(٥) أحمد المغازي: الصحافة الفنية في مصر نشأتها وتطورها "من الحملة الفرنسية ١٧٩٨ إلى مصر الدستورية ١٩٢٤ م. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨ م، ص ٣١. رمزي ميخائيل جيد: المرجع السابق، ص ٢١.

(٦) إبراهيم عبده: أعلام الصحافة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص ٨. رمزي ميخائيل جيد: المرجع السابق، ص ٢٩.

(٧) أمر من محمد علي باشا، بتاريخ ٢٥ جمادي الأولى ١٢٤٤ هـ/ ٣ ديسمبر ١٨٢٨ م. نقلًا عن: أمين سامي: تقويم النيل، الجزء الثاني، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩ م، ص ٣٣٩.

(٨) بمقارنة ما كتبه إبراهيم عبده في كتابه (تاريخ الوقائع المصرية) بشأن بداية تدوين تلك

الجريدة للأخبار الأوروبية من العدد الخامس عشر. بما ورد بالوقائع نفسها تبين أن أول الأخبار الأوروبية التي ذكرت فيها بداية من العدد الرابع عشر الصادر في يوم الأربعاء ١٣ رمضان ١٢٤٤هـ/ ١٨ مارس ١٨٢٩م وليس العدد الخامس عشر. جريدة الوقائع المصرية: العدد (١٤)، ١٣ رمضان ١٢٤٤هـ/ ١٨ مارس ١٨٢٩م. إبراهيم عبده: تاريخ الوقائع المصرية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م، ص٥٦، ٦٥.

(٩) "اجتمع سعادة مدير المدارس والبلك الترجمان وكاني بك ومحمود بك مدير الإيرادات وغيرهم" وقرروا للوقائع سياسة جديدة ونحواً طريفاً وقواعد لم تنتظمها من قبل". وثائق عابدين: دفتر رقم (٣١٤)، وثيقة رقم (٢٧٤)، ١٩ ذي القعدة ١٢٥٧هـ/ ١ يناير ١٨٤٢م. نقلاً عن: إبراهيم عبده: تاريخ الوقائع المصرية، ص٦٨.

الثورة الروسية البلشفية "أكتوبر ١٩١٧م" (*)

في شهر "أكتوبر" من عام "١٩١٧م" شهدت روسيا تغييرات جذرية في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية، وذلك عقب ثورتها الشعبية التي بدأت إرهاباتها من عام ١٩٠٥م عندما خرج ثلاثة ملايين من العمال الروسين مضربين عن العمل في مدينة "موسكو" معترضين في ذلك علي النظام القيصري الحاكم، والوضع الاقتصادي والطبقي الذي كان يصب في مصلحة الارستقراطية المنعمة علي حساب البورجوازية الوسطى والبروليتارية العاملة الكادحة^(١)، ولكن علي الرغم من افتقار تلك الثورة الصغرى من التنظيم والنظام المحدد، إلا أنها حصلت من القيصر "نيقولا الثاني" على منح البلاد دستوراً وبرلماناً جديداً "مجلس الدوما"^(٢).

وفي عام ١٩٠٦م قام الفلاحون في القرى الروسية باضطرابات واسعة الانتشار معترضين في ذلك علي انهيار النظام الاقتصادي في البلاد، وظلت هذه الاضطرابات تنشط عاماً بعد عام حتى عام ١٩١٤م بحيث أصبح يُطلق علي روسيا بلاد الاغتيالات والمؤامرات والشرطة السرية، ومع قيام الحرب العالمية الأولى في نفس العام "يوليو ١٩١٤م" ودخول روسيا الحرب-رغم انهيار وضعها الاقتصادي- زاد السخط الشعبي علي الحكومة وأصبحت روسيا علي حافة الثورة^(٣).

(*) نشر هذا الموضوع بجريدة شباب مصر، تحت عنوان "مائة عام علي الثورة الروسية أكتوبر ١٩١٧م"، القاهرة، ٢٨ أكتوبر ٢٠١٧م.



وفي الفترة من "يوليو ١٩١٤م" وحتى "أكتوبر ١٩١٧م" شهدت روسيا انتعاشاً للنشاط الثوري الداخلي، وتكونت جماعات اغتيلية في أكثر من مدينة روسية، وعمت الاضطرابات والمظاهرات في مختلف أنحاء البلاد، وخاصة بعد تداول الفكر الماركسي بين المثقفين الروسين "الإنتلجنسيا"^(٤) الذين انبثقت منهم الفكرة الاشتراكية الديمقراطية، والتي هدفت إلى ترويج أفكار الاشتراكيين العلمية بين العمال والمثقفين، حتى ظهرت الحاجة إلى تكوين حزب يجمع كل الأفكار الاشتراكية لخدمة المصالح العمالية، وهو الأمر الذي تم في النهاية علي يد "فلاديمير إيلتش أوليانوف" المعروف باسم لينين "١٨٧٠ - ١٩٢٤م" وهو صاحب النشاط الثوري الأكبر في روسيا، وقائد الثورة الروسية الكبرى "أكتوبر ١٩١٧م"^(٥).

بدأت مقدمات ثورة أكتوبر ١٩١٧م في ٢٣ فبراير من نفس العام، عندما احتج عمال النسيج الروس علي الأوضاع الاقتصادية المتردية في البلاد، حيث خرج حوالي ٩٠ ألف عامل وعاملة مضربين عن العمل، وتوجهوا إلي مقر

مجلس مدينة "بتروجراد"، وانضم إليهم بعض الطلبة وعناصر من صغار البورجوازيين وبدأت الهتافات تنادي بسقوط الحكومة وسقوط الحرب، وعندما حاولت الحكومة القيصريّة - بمساعدة القوات العسكريّة - قمع هذه الثورة فشلت في ذلك بسبب انضمام بعض الجنود إلى العمال الثائرين، وتطورت الأوضاع حتى اضطر القيصرون يقولوا الثاني إلى التنازل عن العرش إلى أخيه ميخائيل، ولكن رفض الثوار استمرار الحكم القيصري، وقرروا إعلان الجمهورية وتسليم الحكم لحكومة مؤقتة^(١).



لينين "١٨٧٠ - ١٩٢٤ م" مخاطباً الجماهير الروسية

وفي أكتوبر ١٩١٧ م نجح لينين وجماعته "البلاشفة" في اكتساب المزيد من التأييدات الشعبية لصالحهم، واستطاعوا أن يكتسحوا بدعايتهم كل المقاطعات الروسية "السوفييتات"، وبدأوا يعدون العدة للاستيلاء على السلطة من الحكومة المؤقتة، وبالفعل في مساء ٦ نوفمبر من نفس العام قامت القوات البلشفية باحتلال المباني العامة في "بتروجراد" كمحطات السكك الحديدية ومكاتب التلغراف والتليفونات والكباري وغيرها من

المرافق، وفي صباح ٧ نوفمبر صُدر إعلان بلشفي بسقوط الحكومة المؤقتة، وتكوين مجلس سوفييتي تحت اسم "المجلس السوفييتي لوكلاء الشعب" وانتخب لينين رئيساً لهذا المجلس^(٧)،



لينين رئيساً للمجلس السوفييتي لوكلاء الشعب

وأجريت تغييرات سياسية واقتصادية جذرية في البلاد، وأصبح العمال يشرفون علي الإنتاج والتوزيع، وتم إلغاء الطبقات وامتيازات الطبقة الثرية، وانتقلت ملكية المرافق العامة كالخطوط الحديدية والأسطول التجاري والمصارف إلي الشعب، وتم تأسيس دستور سوفييتي للبلاد بنسق جديدة، وأعلنت المساواة التامة في الحقوق بين جميع المواطنين^(٨).

الهوامش:

- (١) إيان بيرتسال: فلاديمير لينين "النظرية والممارسة"، ترجمة: محمود عبد المنعم، مركز الدراسات الاشتراكية، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص ٥.
- (٢) علي عبود المحمداوي (وآخرون): الماركسية الغربية وما بعدها، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، بغداد، ط ١، ٢٠١٤ م، ص ٢٠٧-٢١١. محمد حمزة الدليمي، لبني رياض الرفاعي: تاريخ العالم المعاصر، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٥ م، ص ٧٩.
- (٣) نادية كاظم الشمري: الثورة الروسية (١٩٠٥-١٩٠٧ م)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد (٢)، المجلد (٣)، جامعة بابل، العراق، ٢٠١٣ م، ص ٣٤١، ٣٤٢.
- (٤) الإنتلجنسيا: مصطلح مشتق من اليونانية يُقصد به الطبقة الاجتماعية التي تهتم بالعمل الفكري الدؤوب الذي يهدف في الأساس إلى نشر الثقافة بين أبناء المجتمع. وهذا يعني أن المفهوم يضم العديد من الفئات داخل الكيان الاجتماعي مثل المفكرين والمعلمين وحتى الفنانين. وغيرهم الكثير. وأما عن تاريخ تداول هذا المفهوم في روسيا فقد تم تداوله قبل قيام ثورتها الكبرى في عام ١٩١٧ م، وذلك لوصف أولئك الناس الذين يمتلكون الثقافة والمبادئ السياسية (الطليعة المثقفة). سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٦ م، ص ٤١، ٤٠.
- (٥) أرشي براون: خرافة الزعيم القوي "القيادة السياسية في العصر الحديث"، ترجمة: نشوي ماهر كرم الله، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ٢٠١٦ م، ص ٢٦٢-٢٦٩.
- (٦) محمد حمزة الدليمي، لبني رياض الرفاعي: المرجع السابق، ص ٧٩، ٨٠.
- (٧) إيان بيرتسال: المرجع السابق، ص ١٣.
- (٨) ج. آ. س. غرنفيل: الموسوعة التاريخية العسكرية الكبرى لأحداث القرن العشرين، ترجمة: علي مقلد، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ٢٠١٢ م، ص ١٨٢.

مساعي الحكومة المصرية في دعم القضية الفلسطينية قبل عام ١٩٤٨ م

"ديارُ السَّلام، وأرضُ الهنا
يُرِيدُ اليهودُ بأن يصلبوها
ألا ليت "بلفور" أعطاكم
وأنتم أحبُّ إلى لندنا
يشقُّ على الكلِّ أن تحزننا
وتأبى فلسطين أن تدعنا
بلاداً له لا بلاداً لنا
"فلندن" أرحبُ من قدسنا

فليست فلسطين أرضاً مشاعاً فتعطى لمن شاء أن يسكننا"

بدأت بهذه الأبيات للشاعر الكبير "إيليا أبو ماضي" في قصيدته "فلسطين"^(١) لكي تعود بنا إلي أكثر من مائة عام مضت، وتحديدًا في "نوفمبر ١٩١٧ م" عندما نجحت الطوائف اليهودية الصهيونية في الحصول علي تصريح بريطاني أعطي لهم صلاحية كبرى لإقامة وطن قومي لليهود علي أرض فلسطين. فعلي الرغم من أن هذا التصريح "الوعد" كان بصورة غير رسمية إلا أن هذه الطوائف اعتمدت عليه كسند رسمي يتيح لهم الحصول علي جزء كبير من الأراضي الفلسطينية في ذلك الوقت^(٢).

ونتيجة لذلك قامت كل الدول العربية بمهاجمة هذا التصريح، ورفضوا الاعتراف به كلياً، ولكنهم في الوقت نفسه لم يستطيعوا تنفيذ أية إجراءات رسمية لإلغائه بسبب وقوع معظم هذه الدول تحت سيطرة الاحتلال الأنجلو/فرنسي الذي نجح في تشتيت القوي العربية الكبرى، وتقسيمها إلي أجزاء صغيرة يسهل السيطرة عليها تحت مبدأه المعروف "فرق تسد"، لذا فشلت كل المساعي العربية في عرقلة المشروع الصهيوني علي أراضي فلسطين آنذاك، وفشلت مصر علي وجه التحديد في تنفيذ أي خطوة فعالة لمواجهة هذه المشكلة^(٣).

Foreign Office.

November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.



وعد "تصريح" بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧م

ولكن مع حلول عام ١٩٣٦م نجحت مصر في تحطيم الحصار البريطاني الذي سيطر على سياستها الخارجية بشكل كبير، وذلك عندما قامت بإبرام معاهدة للتحالف والصداقة مع بريطانيا مكنتها من الحصول على الكثير من الصلاحيات التي أتاحت للحكومة المصرية حق التصرف في شئونها الخارجية دون أي تدخل بريطاني، وبناء على ذلك انفتحت مصر على العالم بشكل كبير، وبدأت تعي انتماءها العربي ودورها المؤثر في كل القضايا العربية وخاصة

قضية فلسطين التي ظهرت عاطفها الرسمي معها بمجرد اندلاع الثورة الكبرى في الأراضي الفلسطينية عام ١٩٣٦ م.

ولكن في الوقت نفسه كان هذا التعاطف يشوبه الحرص الشديد من قبل الحكومة المصرية حتي تتجنب خوض أي صدام سياسي بينها وبين بريطانيا^(٤)، إلا بعد تخلصها من القيود الاستعمارية الأخرى مثل إلغاء الامتيازات الأجنبية التي شكلت عبئاً كبيراً علي مصر في ذلك الوقت، وهذا لا يعني أن الحكومة المصرية قد تخلت عن هذه القضية المهمة، بل دعم الرأي العام المصري المسألة بطرق غير مباشرة. فكثيراً ما كان يوجه مجلس الشيوخ المصري بعض الاستجابات للحكومة للكشف عن موقفها الصريح تجاه هذه القضية، ويمكننا ملاحظة ذلك أيضاً عندما قام وزير الخارجية المصري (واصف غالي) بعرض مشكلة فلسطين في مؤتمر افتتاح دورة عصبة الأمم السنوية (سبتمبر ١٩٣٧ م)، وحث جميع القوي الأوروبية الكبرى علي إيجاد حل جذري لها^(٥).

وأما عن القوي السياسية المصرية فقد ظهر موقفها الفعال تجاه القضية الفلسطينية نحو ما تبنته الحكومة البريطانية من مشاكل جديدة لتعقيد المسألة، وخاصة بعد طرح "لجنة بيل Peel Commission" في يوليو ١٩٣٧ م لأول مشروع لتقسيم الأراضي الفلسطينية إلي دولتين: دولة يهودية، ودولة عربية، مع وضع الأماكن المقدسة تحت الانتداب البريطاني^(٦)، لذا صرحت الأحزاب المصرية رسمياً برفضها التام لفكرة التقسيم، مثل حزب الوفد وجمعية مصر الفتاة، والأحرار الدستوريين^(٧)، وغيرهم من القوي السياسية المصرية التي حاولت إقناع الحكومة البريطانية بعدم فاعلية فكرة التقسيم، التي ستزيد الأمر سوءاً، كما هاجم ذلك المشروع كل الهيئات الإسلامية المصرية في ذلك الوقت وعلي رأسها الأزهر الشريف^(٨)، وأنضم إلي ذلك جميع الهيئات

النسائية المصرية بقيادة السيدة (هدي شعراوي) التي ألقت بياناً نص علي رفض هذه الهيئات لمشروع التقسيم وفكرته رفضاً تاماً^(٩).

وفي ٨ سبتمبر ١٩٣٧م شاركت مصر بدور فعال في المؤتمر القومي العربي الذي عُقد بسوريا لمناقشة مشروع تقسيم فلسطين، والضغط علي كل الدوائر السياسية البريطانية وعصبة الأمم لإيجاد حل جذري لهذه المسألة، بل والعمل علي نشر تلك القضية في المؤتمرات العالمية لتحريك الرأي العام العالمي تجاهها^(١٠)، وفي العام التالي (١٩٣٨م) دعي محمد علي علوبة "وزير المعارف الأسبق وسكرتير لجنة الدفاع عن فلسطين" إلي عقد مؤتمر برلماني لمناقشة المسألة الفلسطينية^(١١)، كما قامت أيضاً السيدة هدي شعراوي بعقد مؤتمر نسائي عربي في نفس العام من أجل تدعيم الجبهة العربية وإنقاذ الأراضي الفلسطينية^(١٢).



مؤتمر القمة العربية لمناقشة المسألة الفلسطينية

وفي عام ١٩٣٩م شاركت مصر في مؤتمر "لندن" وعبرت عن رغبتها في ضرورة حل المشكلة بصورة سريعة مع ضرورة الحفاظ علي الحقوق العربية في

الأراضي الفلسطينية^(١٣)، وعلي الرغم من أن اشتعال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) قد وقف حائلاً بين مصر وكل القوي العربية بصورة عامة تجاه القضية، إلا أن الحكومة المصرية استغلت فرصة انشغال بريطانيا بالصراعات العسكرية في أوروبا، وبدأت في إرسال الكثير من المساعدات لفقراء فلسطين ومنكوبيها، مثل ما تم تنفيذه في أكتوبر ١٩٣٩م، ومارس ١٩٤٠م، وتولي القنصل العام المصري بالقدس مهمة توزيع هذه الإعانات بصورة منتظمة بمساعدة المسئولين الفلسطينيين في تلك الفترة^(١٤).



مؤتمر لندن ١٩٣٩م

29

2

من توزيع الامانة التي تديرها لقراة فلسطين وشكوبها

5.4.4

2000

7-11

1.000

الخط 2

結語 野史の成立は、



ومن أكثر الأمور الرائدة للحكومة المصرية لمساندة القضية كانت دعوتها للدول العربية لإنشاء مؤسسة جامعة تهتم بمثل هذه القضايا المهمة التي تمس أمن العرب القومي بشكل مباشر، وبالفعل تم الاتفاق علي إنشاء مؤسسة عربية تعمل علي دراسة المشاكل العربية والعمل علي حلها، وهي

المؤسسة التي عُرفت باسم "جامعة الدول العربية"، والتي تم اعتماد ميثاقها في ٢٢ مارس ١٩٤٥م^(١٥). فمنذ البداية قامت هذه الجامعة بتوجيه كل اهتماماتها تجاه القضية الفلسطينية، وتم الاتفاق علي عقد عدة جلسات خاصة لدراسة هذه المسألة وأبعادها، أشهرها الجلسة التي تم عقدها في "٢٤ نوفمبر ١٩٤٥م" وشارك بها كبار الشخصيات السياسية المصرية آنذاك، وعلي رأسهم رئيس الوزراء المصري (محمود فهمي النقراشي)^(١٦).

وفي "مايو ١٩٤٦م" دعي الملك فاروق إلي عقد مؤتمر عربي يهدف بصورة أساسية إلي توحيد جبهة العرب أمام القوي الأوروبية عقب نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م)، وللتأكيد علي رفض الدول العربية لفكرة "تقسيم فلسطين" تم الاتفاق علي مشاركة بعض الأعضاء العرب في مؤتمر لندن الذي عُقد في نفس العام لتسوية النزاعات العسكرية عقب نهاية الحرب^(١٧)، كما أرسلت مصر العديد من الخطابات والتصريحات إلي معظم دول العالم بهدف تحريك الرأي العام العالمي تجاه القضية الفلسطينية^(١٨)، وقدمت في ٢٨ يونيو ١٩٤٧م خدمة فتح اعتماد مالي بمبلغ ٤٥ ألف دولار لمكتب مصر بالأمم المتحدة للقيام بالدعاية والاتصالات وإبراز وجهة النظر العربية في دعم القضية الفلسطينية^(١٩).

LY 2002

اتصرف باحاطة مما يليكم علم انه تقرى اجتماع الجامعة العربية القيام بدعاية
للجنة فلسطين بموكبا في حدود مبلغ ١٠٠٠٠٠٠ دولار وقد قام حضرة صاحب المصو
مير فيصل آل سعود بمصاد حصة الملكية السعودية واليمن المبالغ قدرها ١٣٠٠٠٠
دولار وطلب اللجنة العربية العليا لفلسطين المبادرة بدفع نصيب مصر في هذا المبلغ
المنية ١٤٦٦/٠ هـ

نخرجوا العسكر بالقنبية بمخافة البنك الاهلي المصري للفتح اعتمادا على اني جالس
٤٥٠٠٠٠ دولار ووعده تحت تصرف مكتب مصر لخدمة الامم المتحدة ببنو برك للصرف
فيه في هذا الشأن

مع العلم بأنه منخصص بهذا المبلغ على اعتماد الـ ٣٠.٠٠٠ ج. الدين بالهبات
الثالث بميزانية الوزارة للنسبة المالية الحالية وطبقه القرار حرف

وَتَقَبَّلُوا مِنْكُمْ بِمَوْلٍ فَائِقٍ إِلَّا حَقَرَامُ

وزير الخارجية

المشاة محمود بن أبي القراشي

فتح إعتقاد مالي لمكتب مصر بهيئة الأمم المتحدة لتدعيم القضية الفلسطينية (يونيه 1947م)

وعقب إصدار الأمم المتحدة لقرارها رقم (١٨١) في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م بشأن الإعلان الرسمي لتقسيم الأراضي الفلسطينية بين العرب واليهود^(٢٠) تحركت مصر بكل طاقتها لإعلان رفضها بخصوص ذلك، والعمل مع باقي الدول العربية لوقف تنفيذه، وكذلك تم إجراء الكثير من المباحثات مع بعض دول العالم

لكسب تعاطفهم مع القضية وإقناعهم بعدم جدية قرار التقسيم موضحة أن هذا الحل سيزيد من تعقيد المسألة بين الأطراف المتنازعة^(٢١).

ونتيجة لذلك استطاعت مصر عام "١٩٤٧م" أن تحصل علي الكثير من التأييدات العالمية تجاه القضية بشكل سريع، وضمت إلي صفها دول "تركيا، وإيران، وكوبا، واليونان، والأرجنتين، وبولونيا، وبلجيكا، وباكستان"، كما تولت مسألة الدعاية للقضية في مختلف دول العالم حتى أنها عرضت هذه المسألة في المقر البابوي بالفاتيكان، وقامت أيضاً بدعوة الكثير من دول العالم لإرسال التبرعات لإعانة فقراء فلسطين^(٢٢).



ولكن علي الرغم من كل المحاولات العربية بشكل عام، والمصرية بشكل خاص، لوقف مشروع تقسيم فلسطين، إلا أن الجمعية العامة للأمم المتحدة نفذت القرار معتمدة في ذلك علي ما تم من تحقيقات حول تلك المسألة، وهذا ما دفع الرأي العام العربي إلي إعلان رفضه التام لهذا الإعلان ومقاطعته، ولكن وقفت الولايات المتحدة الأمريكية في وجه كل تلك المحاولات، بل قامت بتدعيم الطوائف اليهودية لإعلان دولتهم، وذلك بالاتفاق مع الحكومة البريطانية التي نصحت بإقرار ذلك عقب إنهاء انتدابها علي الأراضي الفلسطينية لكي تصبح فلسطين "أرضاً لا صاحب لها"^(٢٣)، وبالتالي يمكن تأسيس دولتين يُعترف بهما دولياً، وهو الأمر الذي صُدمت به الجبهة العربية في "١٤ مايو ١٩٤٨م" عندما أعلن "ديفيد بن جوريون"- الرئيس التنفيذي للمنظمة الصهيونية العالمية - قيام دولة إسرائيل^(٢٤)، والتي سرعان ما تم التصديق والاعتراف بها من جانب الولايات المتحدة في اليوم التالي مباشرة ١٥ مايو ١٩٤٨م^(٢٥).

الهوامش:

- (١) إيليا أبو ماضي: ديوان أبي ماضي، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٦ م، ص ٧٣٩، ٧٤٠.
- (٢) علي محمد علي: الوعد الباطل "وعد بلفور"، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص ٥-٧.
- (٣) عادل حسن غنيم: مصروفلسطين منذ تصريح بلفور حتي أواخر العشرينيات من القرن العشرين، ضمن موسوعة مصر والقضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٥٢ م، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٢ م، ص ٢٠. طارق السويدان: فلسطين التاريخ المصور، الإبداع الفكري، الكويت، ط ١، ٢٠١٢ م، ص ٢٢٦.
- (٤) عماد جاد: الحكومة المصرية والقضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٤٧ م، ضمن موسوعة مصر والقضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٥٢ م، المرجع السابق، ص ٢٣-٢٣١.
- (٥) المرجع نفسه، ص ٢٣٥، ٢٣٦.
- (٦) نفسه، ص ٢٣٣.
- (٧) أحمد زكريا الشلق: موقف حزب الأحرار الدستوريين من القضية الفلسطينية، جمال معوض شقرة: مصر الفتاة والقضية الفلسطينية، عبد المنعم إبراهيم الجميلي: موقف حزب الوفد من القضية الفلسطينية، ضمن موسوعة مصر والقضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٥٢ م، المرجع السابق، ص ٢٦٩، ٢٧٠، ٣٠٤، ٤٠٨.
- (٨) محمد علي حلة: موقف الأزهر الشريف من القضية الفلسطينية، ضمن موسوعة مصر والقضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٥٢ م، المرجع السابق، ص ٤٤٣.
- (٩) إبراهيم جلال أحمد: هدي شعراوي ومساندة القضية الفلسطينية ١٩٣٠-١٩٤٧ م، مجلة مصر الحديثة، العدد (١١)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٢ م، ص ١٨٨، ١٨٩.
- (١٠) أنظر نص المؤتمر العربي المنعقد بسوريا ١٩٣٧ م، منشور بالمجلة العربية للثقافة، العدد (١٠)، المجلد (٦)، تونس، مارس ١٩٨٦ م، ص ١١١، ١١٤.

- (١١) محمد علي حلة: دور مصر في المؤتمر البرلماني للبلاد العربية والإسلامية بالقاهرة ١١-٧ أكتوبر ١٩٣٨م، ضمن موسوعة مصر والقضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٥٢م، المرجع السابق، ص ٦٢٥.
- (١٢) إبراهيم جلال أحمد: المرجع السابق، ص ١٩٣.
- (١٣) سمير ذياب إسيبتان: تاريخ النكبة والقضية الفلسطينية، الجندرية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٠٦، ١٠٧.
- (١٤) مذكرة مرفوعة إلي مجلس الوزراء المصري عن توزيع الإعانات التي قررها لفقراء فلسطين ومنكوبيها، وثيقة بتاريخ ٢١ مارس ١٩٤٠م، منشورة في كتاب: فلسطين في الوثائق العربية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢١٧.
- (١٥) عبد الحميد محمد الموافي: تأسيس جامعة الدول العربية، مجلة شؤون عربية، العدد (١)، القاهرة، مارس ١٩٨١م، ص ٢٢.
- (١٦) عبد الحميد محمد الموافي: مصر في جامعة الدول العربية (١٩٤٥-١٩٧٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٢٦، ١٤٠.
- (١٧) لطيفة محمد سالم: الملكية وقضية فلسطين، ضمن موسوعة مصر والقضية الفلسطينية ١٩١٧-١٩٥٢م، المرجع السابق، ص ١٢٣.
- (١٨) عبد الحميد محمد الموافي: المرجع السابق، ص ١٤٠، ١٤١.
- (١٩) خطاب من محمود فهمي النقراشي إلي وزير المالية المصري يشير بفتح اعتماد مالي لمكتب مصر بهيئة الأمم المتحدة بنيويورك لدعم قضية فلسطين، بتاريخ ٢٨ يونيو ١٩٤٧م، منشور في كتاب مصر وفلسطين ١٩٤٧م "مختارات من الوثائق المصرية الخاصة بقضية تقسيم فلسطين"، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ١٦٣.
- (٢٠) أنظر نص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٨١) لتقسيم فلسطين، بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، منشور في كتاب: مصر وفلسطين ١٩٤٧م "مختارات من الوثائق المصرية الخاصة بقضية تقسيم فلسطين"، المصدر السابق، ص ٣٢٧.
- (٢١) عماد جاد: المرجع السابق، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

- (٢٢) أنظر نصوص المراسلات الرسمية بين مصر وهذه الدول منشورة في كتاب: مصر وفلسطين ١٩٤٧م "مختارات من الوثائق المصرية الخاصة بقضية تقسيم فلسطين"، المصدر السابق، ص ٧٩، ١١١، ٢٣٨، ٢٨٤، ٢٥٥، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣١٩، ٤١٥، ٤٢٨.
- (٢٣) عماد جاد: المرجع السابق، ص ٢٥٥، ٢٥٦.
- (٢٤) أنظر نص وثيقة إعلان قيام دولة إسرائيل، ١٤ مايو ١٩٤٨م، منشورة في كتاب: قتيبة وليد غانم، الأصولية الدينية في الجيش الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ط ١، ٢٠١٨م، ص ١٣٣.

(25) Charles D. Smith: Palestine and the Arab-Israeli Conflict, New York, 1992, P. 144.

الفهرس

- ٧ • مقدمة
- ٩ • القسم الأول: قراءات في الفكر والثقافة
- ١٠ ➤ الإنتلجنسيا "الصفوة المثقفة"
- ١٧ ➤ الفكرالسان سيموني بين مصر وفرنسا
- ٢٨ ➤ مذكرات مسافر "رؤية للأخراأوروبي"
- ٣٨ ➤ عبد الرحمن الكواكبي وجدلية الاستبداد في الفكرالعربي الحديث
- ٤٦ ➤ مفهوم رؤية الآخر في العلم الإنساني الحديث
- ٥٠ ➤ أمريكا في كتابات الرحالة المصريين
- ٥٨ ➤ الآثارالثقافية المسيحية في مصرالعثمانية
- ٦٣ ➤ قصر فرساي "تحفة معمارية فرنسية شاهدة علي التاريخ"
- ٧٣ • القسم الثاني: قراءات في التاريخ
- ٧٥ ➤ محمد بك لاطوغلي "أول وزير دفاع في تاريخ مصر الحديث"
- ٨٢ ➤ الوعي الاجتماعي ومواجهة المحتل " نظرة في التاريخ المصري"
- ٩٠ ➤ المصريون والفرنسيون قبيل الاحتلال الفرنسي لمصر
- ١٢٢ ➤ الإفرنج "الحروب الصليبية وصورة أوروبا في عيون المشرق العربي"
- ١٣٣ ➤ باكورة الصحافة في مصر
- ١٤٠ ➤ الثورة الروسية البلشفية "أكتوبر ١٩١٧م"
- ١٤٥ ➤ مساعي الحكومة المصرية في دعم القضية الفلسطينية

السيرة الذاتية للمؤلف

حمادة جمال ناجي



كاتب وأكاديمي مصري، مهتم بدراسة تاريخ الفكر والعلاقات الدولية، عضو بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة حلوان، عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، حاصل علي عدة دورات مختلفة في الوعي الأثري والسياحي، والنشر العلمي "المحلي والدولي"، والتخطيط الاستراتيجي، وغيرها. ساهم بالعديد من المقالات والكتابات المختلفة في مجلات وصحف محلية ودولية، كمجلة الهلال، وديوان الأهرام، ومجلة المجلة، ومجلة الثقافة الجديدة، وجريدة المصريون، وجريدة أبو الهول، وجريدة شباب مصر، ومجلة فكر الثقافة السعودية، والرافد الإماراتية، وجريدة الأهرام الجديد بتورونتو (Toronto) الكندية، وغيرها.

رسالتنا

نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية



arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook

facebook.com/arabiclibrary2017